روايات عبير

فرانسيس كراون

# البحث عن طبيب

WWW.REWITY.COM

٢٢٤

مكتبة مدبولي الصغير

GEGE86

روايات عبير

«ABIR» - No. 224

# البحث عن طبيب

«احتضنت عيونها عيونها. ومَدَّ يده ليلامس خصلة من خصلات شعرها المتألق الذى تهدل على أكتافها الخلابة. انعقد لسان روزالين، وأصابها الإرتباك، وهى تنظر فحسب إلى يده وهو يستعيدها إليه، هامسة بصوت خفيض أنها حقاً تحتاج إلى ساعده لأن يهذب ويشذب شعرها المتوهج. حينئذ نهضت من المقعد وهى ترنو إليه بنظرة رشيقة قائلة: «يجب أن أنصرف الساعة»، وهى بعد تحاول جاهدة أن تفرَّ بنفسها من قوته المغناطيسية الجذابة، التى أدت إلى انهيار ميكانيزم الدفاع الخاص بها برمته. ذلك أن ذوبانها بين هدير ذراعيه فى تلك اللحظة يمثل لديها غاية السعادة القصوى، ولكنها لو أفصحت عن مكنون مشاعرها، وأسلمت نفسها للتيار فسوف تشعر بكافة ألوان الأسف فى الصباح.

WWW.REWITY.COM


| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| لبنان | ٢٢٥٠ ل ل | الكويت | ١,٥٠٠ د | اليمن | ٦,٤٠ ر |
| سورية | ٤٠ ل س | الامارات | ١٩,٢٠ د | تونس | ٢,٤٠ د |
| الأردن | ١,٥ ف | البحرين | ٢,٤٠ د | ليبيا | ١,٦٠ د |
| العراق | ١,٢ ف | قطر | ١٩,٢٠ ر | المغرب | ٨ د |
| السعودية | ١٠ ريال | عمان | ٢,٤٠ ر | مصر | ٣,٠٠ ق |

U.K. 2,40
France F 16
Greece Drs 320
Cyprus P 2,40


GEGE86

## الفصل الأول

## الحادثة المروعة

طغى جمال الشقراء روزالين بينيت المفعمة بالحيوية والنشاط على بدائع الطبيعة الخلابة للأراضى المنخفضة الأسكتلندية فى تلك الظهيرة من شهر سبتمبر. حيث انطلقت مسرعة نحو الهاتف من أجل أن تحادث أمها.

غير انها لاتزال تحمل فى ذهنها ذكرى الرحلة الطويلة التى كانت مرهقة، وجعلتها تتوقف لقضاء الليل فى مدينة «بيتريث» مع إحدى صديقاتها اللائى يعملن ممرضات.

وعندما سمعت صوت أمها يأتيها عبر الهاتف، كانت قلقة، صاحت الأم تقول:

ــ أوه، أنت روزالين؟ لماذا لم أعرفك منذ أول وهلة؟

ــ آسفة يا أماه، أريد أن أحادثك بشأن الشقاق بينى وبين «سيرينا»، طالما أننى الآن أصبحت فى حالة تمكننى من التفكير الصائب. باختصار لقد أقامت علاقة عاطفية مع صديقى، ولن أسكت على ذلك.

ــ تمهلى يا عزيزتى روزالين.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ـ هل تتذكرين «حوف نابير»، الطبيب الذى تحدثت معك بشأنه، وعملت معه فترة قبل تخرجى ونجاحى فى الامتحانات النهائية «للقبالة». فن توليد النساء؟ إنه صديقى. وفعلت سيرينا مثل ذلك من قبل، وساعتها ولكننى لن أسامحها فى هذه المرة. ومن الآن فصاعداً فسوف أقاتل من أجل ابعادها عن التطفل على حياتى!

ـ ولكن يا ابنتى...

ـ لقد أخذت قرارى يا أمى، أنصتى، لقد اتخذت قرارى، وأريد أن أطلعك على الحقائق السليمة، وكل تصرفات أختى العزيزة.

استبد القلق بالأم وانعكس ذلك على صوتها، قالت:

ـ انظرى، يا روزالين، يا حبيبتى، أنت تعلمين أنها لم تقصد أن ترتكب كل هذه الأخطاء! إن جميع المشلات متهورات، يتأثرن بالعواطف الدافقة وهذه الأمور وقتية زائلة لا تستمر طويلاً. كم مرة خرجت مع ذلك الرجل؟ مرة ـ مرتين؟

ـ شهراً كاملاً. لقد تلقيت خطاباً حزيناً. لأنه علم بنيتى فى التخلص منه، لأننى أكره أن يستغفلنى أحد مهما كان. ولقد عرضت شقتى للبيع فى اعلانات بيع العقارات. ويتعين على سيرينا أن تشارك صديقة من صديقاتها اعتباراً من اليوم فى الشقة الخاصة بها.

ـ حسناً، لقد ذكرت سيرينا لى أنها قد حصلت على وظيفة فى إحدى الشركات فى ولاية چيرسى هذا الموسم. وسوف تتوجه إلى هناك قريباً، ولذلك حتى ذلك الحين، أقترح ألا تتسرعى، حيث إنها سوف تعود إلى لكى تعيش معى



ههنا، على الرغم من أن بيت «باتنى» يقع فى الضواحى، بعيداً عن وسط المدينة مثل شقتك.

ـ لا تجعلى هذا الموضوع يصيبك بالقلق، يا أماه، إنها مشكلة سيرينا. أفضل أن أنصرف الآن.

ـ روزالين يا عزيزتى، أنت تعلمين كيف ينجذب الناس إلى جمال سيرينا، ولا تظلمى أختك. وكان أبوك يقول بالأمس فقط كم هو فخور بكما أنتما الاثنين.

ـ حسناً، يجب على أن أرحل الآن يا أمى. سوف أحصل على العنوان الجديد ورقم الهاتف الجديد، والآن إلى اللقاء!

وكانت أمها ذات المزاج والطبع الطيب، التى لا تحمل شراً لأحد ما، تبدو غافلة عن مدى تفضيلها ومحاباتها لأختها سيرينا، الأمر الذى كاد يتسرب خلال دفاعها عن سيرينا. وكانت روزالين طوال حياتها تدرك ذلك، على الرغم من أن تربيتها وصغرها كانت تربية سعيدة ورغدة. أما حقيقة أنها كانت المولود الأول ولم تكن ذكراً، فإن ذلك كشف عن رغبة خفية فى أن تخفف روزالين عن أبويها الذين أصابهما الإحباط.

غير أن سيرينا هى التى تقلب المواجع فى هذه الآونة. وفى الأغلب الأعم كانت علاقات الشقيقتين طيبة حسنة. حيث كانت كلتاهما متقاربتين فى السن، إذ كانت روزالين تبلغ الخامسة والعشرين، أما أختها فقد كانت تصغرها بعام واحد، وزاد من التماثل والتشابه فى طباعهما الدراسة الموحدة التى اندرجتا فيها، والمهنة التى اتخذتاها طريقاً لهما، ألا وهى التمريض ودراسة فن القبالة فى لندن، مما أدى إلى أن تشارك كلاهما المعيشة فى شقة واحدة. وسارت الأمور على ما يرام، إلا أن روزالين لم تعتمد على تكتيكات سيرينا وحسن تصرفها،



WWW.BEWITY.COM
GEGE86

حينما كانت المسائل تتعلق باحتياجاتها هي فحسب.

ولقد فعل القدر ما فعل في طبائع الاختين، إذ كانت سيرينا تتمتع بجملة خصال حرم القدر منها روزالين. لقد كانت سيرينا طويلة، شقراء، رشيقة وممشوقة القوام، جذابة على نحو قاتل، تتصف بالتلقائية وعفوية التصرف والتفكير، وكانت تسحر وتفتن كل شخص تلتقي به، وتجرده من صوابه ورشده واتزانه. وكانت الأمور تبدو أمام روزالين أن شقيقتها تجذب الرجال وتتركهم معلقين يحومون حولها، تماماً كما كانت تصنع على الرف حين طفولتها المزيد من العرائس التي يكتظ بها الرف في غرفة نومهما. لقد كانت تحب أقل القليل من تلك اللعب، وفي نفس الوقت يستبد بها الملل والضجر من معظمها، وأما الآخرون فقد كانت تنبذهم بدون أدنى تفكير.

طغى على روزالين السعادة حين خرجت إلى الهواء الطلق المنعش، وهي تحاول أن تلقي بمشكلاتها خلف ظهرها، وقت أن كانت تتجه إلى المكان الذي ركنت فيه سيارتها. وبينما كانت في طريقها، عزمت أمرها على أن تركز تفكيرها في وظيفتها الجديدة.

قامت الوكالة الخاصة بتنظيم أمور التمريض باعداد كل شيء. وكانت وظيفتها الجديدة في اسكتلندا ليس العمل في أحد المستشفيات، ولكن العمل ممرضة خصوصية لأحدى النساء اللائي كن على وشك الولادة في خلال شهر، ثم البقاء لرعاية الأم والطفل لمدة شهرين آخرين.

قال المسئولون في وكالة التمريض:

ـ إن العمل سيكون سهلاً للغاية يا آنسة بينيت. وتبدو عائلة داغليش عائلة عريقة ومحترمة يعيشون حياة عظيمة ومرفهة في



مدينة دامفريشاير، ويمتلكون الكثير من الأراضي من حولهم. ولسوف تكونين سعيدة مرتاحة هناك. خاصة وأن ذلك الوقت من السنة هو وقت ظريف.

راق ذلك روزالين، وظلت وهي تعدو منطلقة، معجبة بضوء الشمس الأصفر القوي الذي ذهّب غابات الأشجار المنحدرة إلى مشارق الطريق، أنه ليس في الامكان أبدع مما كان. وراحت تسترفي أخيراً. ربما كان قرارها في التوجه نحو الشمال صائباً بعد كل شيء. وأعتقدت أنه من الواجب أن تشكر «حوف نابيير» على ذلك ـ غير أنها لم تجد ذلك مستساغاً. إذ صار واضحاً على الإطلاق أنه لم يعد الرجل المحروم من الحب، وإن كان يتظاهر بذلك، خصوصاً بعدما ألقت سيرينا بشباكها عليه. لقد كان في آخر مرة خرجا معاً، كان يلتقي ويرى سيرينا ويخفي ذلك تماماً كما كانت تفعل أختها.

حينذاك عادا إلى الشقة بعد تناول العشاء ومشاهدة أحد العروض المسرحية، وكانت روزالين ممتلئة نشاطاً وحيوية بعد إفراطها في شرب الخمر والسعادة، وكانت سهرة ناجحة في كل ناحية من نواحيها.

وتذكرت «حوف» حينما اقترح أن يمضي الليلة بعيداً عنها، وقت أن كانت سيرينا تبيت تلك الليلة خارج الشقة، وكيف كان الحظ يحالفها عندما أيقظها منبه داخلي، فقالت له:

ـ أنا لا أحب أن يهجرني أحد يا حوف.

وكانت تتمتم بتلك الكلمات عند شفتيه لما كان يعانقها، ثم راحا يقبلان بعضهما البعض مرة ثانية. وسرعان ما رجع تفكيرها إلى قيادتها للسيارة، لما أبرقت سيارة سبق رياضية من طراز «جاجوار» بجوارها.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

خيمت عليها الكآبة لحظة وهى تتدبر كيف يمكن لسيارتها الـ«مترو» القديمة أن تسابق تلك الچاجوار، وأدهشها بعد ذلك بعشر دقائق أن تسلك نفس مسار السيارة «الچاجوار» التى أبطأت من سرعتها بدرجة كبيرة. حيث التقطت لمحة خاطفة لقائدها وهو يرتدى چاكيت زاهياً قرمزى اللون مصنوعاً من القطن، وهو يتكىء بكوع على النافذة المفتوحة، وهو بعد فى حالة من اللامبالاة، ولا يبتسم البتة.

يالله من رجل وسيم! إن الرجال يمتلأون عادة بالغرور، ويقودون سياراتهم بسرعة من أجل تأكيد أهميتهم، ولكن إذا وقعت الكارثة جعلتهم فى حيص بيص. فهم كالأطفال يسعون دائماً للحصول على الشىء الأفضل والأكثر بريقاً. وبعضهم يعبس مقطباً، مثلما فعل «حوف» فى تلك الليلة التى رفضت فيها أن تسمح له بالدخول معها فى غرفة نومها. والرجال لا يكبرون فى السن وينضجون عقلياً أبداً. كان الأجدر بها أن تختار التخصص فى تمريض الأطفال بدلاً من الولادة والنساء، حيث تستطيع أن تتعلم ما الذى يجعل الرجال كمصاصى الدماء.

وسرعان ما تراءى أمام مخيلتها شىء داكن متحرك، فطرقت عيناها، وانتفضت فى مقعدها لتكتشف انها لم تعد ترى أو تبصر شيئاً. ولقد كمانت غشاوة أصابت بصرها، حيث تكومت أمامها ــ عبر الطريق وعند الانحناء ــ سيارة مهشمة. وانحرفت السيارة طائشة فى محاولة لتجنب ذلك الشىء الأسود المتحرك ــ وهى بعد متشائمة بما فيه الكفاية من نجاح المحاولة ــ وألفيت نفسها غارقة فى بحر من العرق، وهى تجاهد فى نفس الوقت لكى تتحكم فى العربة، غير أنها لم تفلح سوى أن توقفها



وقفة سيئة مضنية للأعصاب.

وبينما كانت لاتزال متشبثة بعجلة القيادة من أجل البقاء على قيد الحياة، أراحت روزالين رأسها على يديها بضعة دقائق، وقلبها ينتفض نابضاً بشدة، أما ساقاها فقد أصبحا مثل الهلام. وبعد ذاك نظرت عبر زجاج السيارة، ويداها لا تزال فى مكانها، غير أن مفاصلها أصابها التوتر والاعياء، خاصة وهى ترى على بعد عدة ياردات أمامها سيارة السبق الرياضية جانحة، ومقدمتها المتعجرفة معلقة على قناة الرى.

زحفت روزالين من سيارتها وعيناها تتقدان بالشرر، أما وجنتاها فقد توردتا إحراراً، ودفعت باب السيارة «إل: متيرو»، وأراحها أن تكتشف أن ساقيها المرتعشتين تحملانها حتى وصلت إلى المكان الذى وقف فيه سائق السيارة المهشمة وهو ينظر سافراً إلى مؤخرة السيارة الفارغة، وراح يتفقد معالمها. قالت:

ــ هل علمت ما كنت مقدماً عليه من كارثة وحادث مروع؟ لقد صارت سيارتك أقرب إلى ركام الخردة!

ثبتت عيناه الزرقاوان الصافيتان فى هدوء متعمد على وجهها الغاضب وهو على ارتفاع ستة أقدام على الأقل، مما أضفى عليه هيبة أوقعت فى قلبها الخوف، وكانت نظرته المنذهلة تحمل تأكيداً بأنه ليس لديه أبسط فكرة عما تتحدث عنه. أما طوله واتساع منكبيه كانا يضفيان الهيبة والخوف، خاصة عندما صاح فى صوت عميق جهير ذى نبرة اسكتلندية خفيفة ورشيقة، باستنكار وسخرية:

ــ أعتقد أن سيارتى أمر خاص بى وشأن من شئونى الخاصة! ففيم تدخلك واهتمامك أنت بهذا الموضوع؟



WWW.REWAYAT.COM
GEGE86

أرتعشت روزالين الرشيقة واستبدت بها رعدة من جراء ذلك الرد الجاف :

ـ اهتمامى بهذا الموضوع ! إنها وقاحة ! إذن أخبرنى ماذا تفعل أنت لو أن سيارتك التى تقودها مسرعاً عبر الطريق السريع قد أعترضها فجأة سيارة عظيمة قذرة تسد عليها السبيل ؟ هل كنت ستفعل ذلك وترفع أنفك فى السماء تيهاً وغروراً ، أم أنك لو فعلت لما رأيت المصيبة الماثلة أمامك ما صدمت بها عربتك ، ورحت أنت ضحية لهذا الخطأ ؟

وراح كلاهما يتبادلان العبارات الجافة المعبرة عن الغضب والحنق ، وصار كلاهما يبدو احتقاره وتكبره على الآخر ، وبدأ كما لو كان يريد التخلص من تلك المخلوقة ذات الشعر المتوحش ، التى أخذت تفرض نفسها على غير سابق معرفة ، محولة ذلك اليوم السعيد إلى يوم تعيس . غير أنه عندما ولى مدبراً لينظر إلى سيارتها ، تغيرت حالته ومزاجه ، وأخذ يداعب جفونه بيديه ، وهو بعد يردد الرد الحاد الذى صدم روزالين وحاول التخفيف من صرامته ! .

ـ فى حقيقة الأمر ، أشعر بأسفى البالغ إزاء ما حدث . غير أن ذلك من الممكن أن يقع لأى فرد وتتعرض له أنه سيارة . غير أن المشكلة الأساسية ليست فيما وقع ، وإنما المشكلة الآن تتركز فى الضرر الذى أصاب السيارة ، لأنها ليست ملكى ، إنها ملك شقيقى . لقد عدت من فورى من المستشفى بعد أن أدخلته هناك .

دست روزالين يدها فى شعرها ، وهى بعد قد تغيرت حالتها المزاجية من النقيض إلى النقيض ، قالت :

ـ بل أنا التى أعرب عن أسفى .



ـ شكراً ، ولكن يتعين الآن أن أبلغ السلطات المختصة . يا له من حادث مروع ! لقد طارت صماويل العجلات بعيداً لعدة أميال .

كادت الفطرة تدفعها لأن تعرض عليه توصيله بسيارتها ، غير أن قلبها الرقيق كان قد أوقعها فى كثير من المآزق فى سالف الظروف . رفعت رأسها فى شموخ وكبرياء وفقاً لتعليمات أمها ، حتى تبدو فى موقف الأقوى ، ثم أضافت من عندها الاعتقاد بأنها إذا تقدمت خمس خطوات إليه ثم تراجعت سبع خطوات فى المقابل على طريقة أختها سيرينا ، أفضل بكثير من التقدم نحوه خمس خطوات ثم التراجع بمقدار ثلاث خطوات ، على طريقتها هى الخاصة .

ولكن سرعان ما احتدمت ثورة الغضب كرة أخرى ، وصاحت بحدة :

ـ هذا عمل طائش ، غير أننى لا شأن لى بالعجلات الضائعة ، ولكن أتعشم ألا تسبب المتاعب لبعض القوم المساكين ، الذين يسلكون الطريق بدون علم بذلك . على أية حال ، حظك طيب حيث إن شيئاً مأسوياً لم يقع حتى الآن !

وجدت روزالين الرجل يتمتم بعبارات قائلاً :

ـ أهكذا يكون رأيك فى كل ما حدث ؟! عظيم !

ثم أخذ يريح ظهره على أحد جانبى السيارة ، وبدا على وجهه التوتر . قالت روزالين ، وقد أمسكت بذراعه :

ـ هل أنت على ما يرام ؟ هل أصيبت بأذى ؟ هل تستطيع المشى ؟ إن عندى بعض الشاى فى سيارتى .

ابتسم ابتسامة صفراء وقال :

ـ أنا بخير ، أشكرك . إنها على أية حال خطيئتى أنا ـ



WWW.BEWTY.COM
GEGE86

حيث أن الطعام لم يكن على قائمة الأولويات عندى فى هذين اليومين الآخرين، وعلى كل فإننى أفضل الشاى، مع ذلك.

قالت روزالين:

ـ بكل تأكيد.

ثم توجها معاً إلى السيارة الخاصة بها. وجلس بجوارها، بينما حاولت هى جهدها أن تكون على قدر مناسب من البعد عنه، إذ أن ضخامة جسده ملأت السيارة. مدت يداً إلى المقعد الخلفى لتمسك بحقيبتها، ثم صبت الشاى الساخن من القارورة. ولما أرسل يده اليمنى ليأخذ الكأس من يدها، ظهرت على وجهه تكشيرة ألم، ذلك أن رسغه بدت عليه علامات التورم المروعة. صاح:

ـ أظن أن السبب فى ذلك يرجع إلى التواثه بشدة عندما حاولت التشبث بشىء لإيقاف اندفاعى نحو القتال، على بعد عدة يارَدات.

قالـت:

ـ يا له من جرح مؤذ، تناول البسكوت. أنا ممرضة على فكرة. وسوف أتولى معالجة رسغك. حيث أحمل معى صندوقاً للإسعافات الأولية مزوداً بالأدوية الضرورية فى السيارة.

قال الرجل:

ـ هذا عطف منك، وأنا لا أستحق كل ذلك الاهتمام، بكل أمانة.

إلا أنها كانت قد خرجت من السيارة وأخذت تعصر احدى الضمادات فى الماء الرائق المتدفق بانسياب عبر طريقه بطول القناة. وسرعان ما عادت إلى جواره، وجردت رسغه من الملابس بعناية طيبة، وهى مدركة تماماً لعيون الرجل المراقبة



التى تكاد تفتتن بها. قالت وهى تبتسم:

ـ هكذا تكون الأمور، وسيكون ذلك مريحاً تماماً حتى تعود إلى المستشفى. وحسب الخريطة التى أمامى، متى وصلنا إلى مشارف مدينة «موفات» فإن أول مستشفى سوف تصادفنا ستكون مستشفى (كوتدج) حيث سيقومون باجراء آشعة اكس على ذراعك. وهناك بمقدورك أن تتكلم بالهاتف وتتصل بالسلطات المختصة لتتولى شأن سيارتك المحطمة.

لمعت عيناه فجأة بالضحك وقال:

ـ ساعينى، فلا شك فى أنك ممرضة ماهرة جداً! فهذه الأربطة ممتازة. سأذهب لاحضار الأمتعة وأنقلها إلى سيارتك. هل توافقين؟!

ثم انطلق وهى بعد تراقبه وترى كيف أن ساقيه الطويلين يقطعان المسافة نحو السيارة، ثم يدخل فيها ويخرج منها حاملاً ما أراد، وبعد ذلك يعود ويفتح الأبواب فى سيارتها ثم يغلقها مرة أخرى.

قالـت:

ـ لماذا تأخرت كل هذه المدة؟ هل ذلك يستحق كل هذا الوقت؟

وبعدئذ اتخذ جلسته بجانبها، وانطلقت السيارة، وسرعان ما تبدد غضبها بنفس السرعة التى ثار بها. صاح قائلاً:

ـ انطلقى إلى المكان الواقع على مبعدة حوالى خمسة أميال من مدينة موفات.

قالـت:

ـ إذن أنت تعلم من قبل المستشفى باعتبارك مقيماً فى نفس المنطقة.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

— يا للسماء، نعم، لقد كان أبى نزيلاً هناك لفترة من الزمن فى الآونة الأخيرة.

ولم يمض وقت طويل قبل أن تتأكد روزالين من خلال الشارات التى تقف على مفارق الطرق أن المستشفى قد اقتربت جداً. ورأت مبنى مستطيلاً مكوناً من دورين ذى جدران شهباء، وبلاط أبيض مخضر، تلفه الشجيرات والخضرة المزدهرة أمام المدخل فى وقت الظهيرة، وركنت السيارة أمام البوابة الرئيسية.

قالت:

— سوف آتى معك. من يعلم. ربما استطعت أن أسرع من اجراءات علاجك، ألا تعلم أننى ممرضة، وقد حان وقت ابراز مواهبى.

وابتسمت ابتسامة عريضة وهى تمشى بجوار الرجل نحو المبنى الرئيسى.

ولما وصلا إلى صالة الاستقبال الصغرى، توجهت إلى الفتاة المبتسمة خلف المكتب، ولكن بمجرد أن وصلا إليها، جاءتها مكالمة هاتفية، مما أفزعها وأربك صوتها. ثم التفتت مرة ثانية لتنظر إلى الرجل، ثم عادت ثانية إلى محدثها بالهاتف:، وصاحت:

— هل تتصور؟ لقد وصل توأ إلى هنا! سوف أبلغه بالرسالة. وابتسمت قائلة:

— مرحباً سيدى، لقد وصلت فى موعدك تماماً بالضبط، إنهم يريدونك على الفور فى المنزل. هل تستطيع أن تتوجه إلى هناك مباشرة؟

فقام بتنفيذ التعليمات سريعاً، وخاطب روزالين، التى



أصبحت من ذلك الحين فى حيرة وارتباك ظهرت على حاجبيها. قال فى صوت مليىء بالقلق:

— يا لها من مصادفة عجيبة. لابد وأن الأمور مرعبة فى المنزل، حتى دفعتهم إلى الاتصال بى والبحث عنى فى كل مكان. أشكرك كثيراً على مساعداتك يا روزالين. ولا أستطيع أن أعبر لك عن مقدار تقديرى لك.

قالت:

— ولكن ماذا ستفعل من أجل رسغك المعطوب والسيارة التالفة؟

— سوف ينتظران حتى أعود أولاً إلى المنزل، وسوف أعطيك الكارت الخاص بى لعلك تريدين أن تتصلى بى من أجل أى شيىء.

ثم انطلق على حين غرة، حينما قاطعته موظفة الاستقبال قائلة:

— إن المستر «بوب» ينتظرك فى الخارج ومعه التاكسى يا سيدى.

قال:

— أقدم إليك اعتذارى أيتها الممرضة، وأشكرك!

غير أن كارت العنوان قد ضاع وسط الارتباك، وكان التاكسى قد شق طريقه منذ وقت مضى متوجهاً إلى حيث منزل الرجل، ولم يبق أمام روزالين شيىء لكل تفعله سوى المغادرة. وأسفت روزالين على فراق الرجل بطريقة عجيبة مجنونة. وبالنسبة إلى مقابلتها لأرباب العمل الجدد، لم تشعر بأنها على استعداد لخوض تلك المقابلة بالمثل. ولحسن الحظ كان موعد المقابلة فى صباح اليوم التالى.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

وتوجهت لتمضية الليلة في أحدى فنادق مدينة موفات، وقررت أن تتصل هاتفياً بأصحاب العمل الجديد، ولكن دهشت حينما أخبروها بأنه يتعين عليها الوصول من فورها. فاتخذت الاحتياطات وسألت موظفة الفندق عن سبيل الوصول إلى غايتها، وانطلقت تعيد شحن سيارتها من جديد.

لقد كانت ليلة مظلمة ليلاء مليئة بالنجوم. وكانوا قد أخبروها بالبحث عن أحد أبراج المياه القديمة على أحد المرتفعات الصغيرة قبل الانعطاف بالسيارة نحو «صالة فالكون»، وحينما شقت طريقها بين الشجيرات الوردية الكثيفة باتجاه المبنى الجرانيتي الذي استحوذ على الانتباه تدريجياً، ثار داخلها خوف طفيف وقت أن توقفت سيارتها.

أخذ قلب روزالين يخفق بشدة حينما دقت جرس الباب، وعلى الفور انفتح أحد الأبواب على مصراعيه، وظهر رجل طاعن في السن يرتدي الزي المميز للخدم. فصاحت وهي بعد تلهث في التقاط أنفاسها:

ـ هل كنتم تتوقعون حضوري.

ـ مساء الخير يا أيتها الآنسة، تفضلي بالدخول. هل أنت الآنسة بينيت؟

ـ أجل ـ أنا الآنسة بينيت. ولقد جئت إلى هنا لرعاية المدام داغليش.

انطلق الرجل عبر الأبسطة الفارسية المفروشة على الأرضية الباركيه، في الوقت الذي انطلق فيها بكاء هستيري يشق الصمت المخيم على الدور العلوي، وحينئذ هرعت إمرأة ممتلئة الجسم رشيقة في عمر والدتها عبر القاعة، تهبط الدرج وهي تمسك بالخادم ليتبعها، وراحت تنتقد وتوثب بشدة الرجل،



بلكنة اسكتلندية، مما أدى إلى ارتباكه وخجله. قالت:

ـ ماذا دهاك يا «دوغال»؟ هذه ممرضة داغليس الصغيرة بالطبع! ماذا كنت تعتقد؟ ولماذا لم تحضر حقائبها من السيارة؟ ثم أنهت التقريع المطول وقت أن هرعت عبر الصالة إلى المكان الذي كانت تنتظر فيه روزالين.

قالت:

ـ مرحباً بك أيتها الممرضة، لقد تفاقمت الأحداث، ولم أعد أعرف رأسي من قدمي! أنا مدام هاريس ـ وأنا التي حادثتك بالهاتف. شكراً لله على حضورك! أتركي كل شيء وهلم اصعدي معي أعلى الدرج، من فضلك؟ لقد أخبرنا المدام داغليش بأنك قد وصلت إلى هنا.

قالت روزالين والقلق يساورها أثناء صعودها الدرج المزين بجانب ربة المنزل ذات الشعر البني والوجه الوردي:

ـ هل ثمة شيء يضر بالمدام داغليش؟

ـ كلا يا أيتها الممرضة، على الأقل في رأيي الخاص. كل ما في الأمر أن هذا هو أول مولود لها، وبالتالي يتعين على المرء أن يكون حريصاً للغاية. وهي على أية حال كانت قد فحصها الطبيب الممارس العام، ولسوف يحضر ههنا غداً مرة ثانية.

ـ هل أعطاك الطبيب أية فكرة عن طبيعة المتاعب الطبية التي تتعرض لها؟

ـ لقد أخبرني بأنها متوترة الأعصاب بدرجة عالية في المقام الأول، غير أن كل ذلك يبدو أمراً طبيعياً مصاحباً للحمل. ويعلم ذلك أيضاً السيد اليكسندر، وهذا مايفسر السبب في خروجه من المنزل لبرهة وجيزة من الوقت ـ إن كل شيء هنا



WWW.REWITY.COM
GEGE86

يصيبه بالإحباط. اقترح عليك أن تأتى، لعل ذلك يهدىء من روعها. إن السيد اليكسندر ينتمى إلى النوع من الرجال سهل القياد عادة، ولكنه فى الآونة الأخيرة لم يعد أى شيىء يروق له.

ابتسمت روزالين وهى تقول:

ــ حتى الآباء يصابون بالإحباط فى مثل هذه الظروف!

صاحت مديرة المنزل تقول متعجبة وساخطة:

ــ أوه، كلا يا عزيزتى، إن السيد الكسندر ليس الأب. أعتقد أن المدام داغليش متوترة للغاية بطبيعة الحال وسوف يمتعها أن نحيط بها جميعاً. ولعل هذا هو السبب فى طلبها ان تنام فى حجرة الضيوف، وإلا ما كنا قد سمعناها أبداً لو كانت فى الجناح الآخر!

توقفنا لدى الباب نصف المفتوح، ولما سمعا كلمة «ادخلا» دخلتا الغرفة ذات السقف العالى ذات الأبعاد المتناسبة، والتى تخلب الأبصار أثاثها. وسرعان ما جذب انتباه روزالين الفتاة ذات الشعر الداكن، الجذابة التى ترقد على الوسائد المزركشة بالأربطة الزيتية على الفراش المزدان بالحرائر. وزاد من جمالها تجاعيد شعرها الكثيف الطويل، والعينين البنيتين، والبشرة الناعمة الرقيقة، غير أنها اندفعت تبكى وتواصل نحيبها بمجرد أن نظرت إليها الآن، وصاحت فى غضب تدفع أيديها بعنف:

ــ الآن فحسب قد أتيت أخيراً أيتها الممرضة!

تلقت مدام هاريس بذلك إهانة عميقة، قالت:

ــ هذا ليس عدلاً يا مدام داغليش أيتها العزيزة. إن موعد الآنسة بينيت لم يحل بعد، إنه غداً.



ثم نظرت نظرة تألم إلى روزالين، وقالت:

ــ أقدم لك المدام كارميلينا داغليش يا أيتها الممرضة.

اتقدت عينا الفتاة، وهى تقول:

ــ ربما الآن فقط... أستطيع... لقد... ربما تفهمين..

وراحت تتعثر فى الكلمات، ولم تسعفها حصيلتها الضئيلة من الانجليزية فى التعبير عما يجيش فى صدرها من مشاعر. قالت:

ــ إننى لن أذهب إلى المستشفى التى تتبعينه ــ إننى خائفة! ولن أتوجه، وأصارحك بذلك! غير أن المولودة، إنها قادمة لا محالة. والكسندر يقول لى كلا! إننى مرتبكة من حيث كل شيىء ههنا! أنا أريد البقاء فى بيتى.. وأريد أمى...

ثم انفجرت فى البكاء وصدرها بعد يجيش بالدموع، وقد وصم البؤس كل جزء من جسدها الضئيل، وخيمت عليها التعاسة.

أومأت روزالين لمديرة المنزل بالانصراف ومغادرة الحجرة، ثم وضعت ذراعها بسلاسة على كتف الفتاة. وقالت:

ــ يا مدام دالغليش، من فضلك، لا داعى لأن تحبطى نفسك بهذه الطريقة. أنظرى إلى، إن الأمور ليست بهذا السوء كما تتصورين، واننى سوف أوجه إليك سؤالين بشأن المولودة، ويجب عليك أن تجيبى فقط بكلمة واحدة: نعم أو لا، هل توافقين؟ إذن يتعين عليك أن تسترخى.

لم تجد الفتاة مشقة فى الفهم. فأومأت برأسها، وكانت عيناها قد فقدتا شيئاً من تمردها واضطرابها. قالت روزالين:

ــ هل تعانين من أية متاعب من أية نوع؟

ــ كــلا!



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ـ هل تشكين من الصداع ؟
ـ كـلا !
وراحت روزالين تستخدم يديها فى شرح وجهة نظرها قالت :
ـ هل تعانين من أى نزيف ؟
ـ كلا ، هل تعتقدين أننى أضيع وقتك سدى ؟
ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وهى تهز بكتفيها . وردت روزالين قائلة :
ـ بالطبع كلا . يجب عليك الآن أن تخلدى للراحة ، إن أسرتك قلقة عليك .
تفحصت عيناها الواسعتان وجه روزالين ، وقالت :
ـ إننى منزعجة أيضاً بشأن رودريك ، زوجى . إنهم يعتقدون أننى أسبب اهتياجاً كبيراً وضجة لا داعى لها ، يا أيتها الممرضة ، إلا أننى قلقة عليه . لقد انصرف بعيداً عنى ، عدة أيام كما قال . ولم يخبرونى . إن الكسندر يقول إننى أتصرف كالطفلة .
وسرعان ما اغرورقت العينان الداكنتان بالدموع ، وصاحت :
ـ إن « إى » لا يفهم ولا يستوعب الأمور . إن رودريك وأنا قد تزوجنا منذ برهة ووقت قصير .
راح عقل روزالين يتدبر كلمات الفتاة فى شغف . إذ ليس ثمة سبب أمام الفتاة لكى تكذب . وإذا كان زوجها كما قالت ، قد غادرها بدون إبداء الأسباب ، فهو قد تخلى عن مساعدتها بكل التأكيد ، وهى زوجته بعض الشيء . واجتاح عقلها الأفكار الخاصة بتجربتها مع الرجال . ألا يكون هذا ضرباً



آخر من طفولية الرجال ، حيث يتوجب أن يكون زوج كارمليتا متواجداً معها وقت المرض ، بغض النظر عن الولادة ؟
لابد من أن يكون هناك سبب معقول يفسر غيابه ، صاحت :
ـ يا مدام دالغليش إنك الآن فى الأسبوع السادس والثلاثين من الحمل ، وكل ما يجب عليك أن تفكرى فيه ، هو طفلك . ونحن لا نريد لكل منكما الخطر .
ابتسمت الفتاة ابتسامة واهنة ، وقالت :
ـ هذا صحيح . هل أنت متزوجة يا روزالين ؟
ـ كلا ، وأنا لا زلت أنتظر الرجل المناسب لكى يأتى .
ثم تجاذبا أطراف الحديث بعض الوقت حتى طرقت الباب المدام هاريس .
ـ هلم لكى تتناولى عشاءك فى غرفة الطعام يا روزالين ، بمجرد إنهاء كلامك مع مدام دالغليش .
وذهبت بعد ذلك لتناول الطعام ، وسرعان ما وصل السيد الصغير بسيارته ، فاستعدت للقائه ، والبدء فى حياة عمل جديدة مع تلك العائلة المرفهة .



WWW.REWAYAT.COM
GEGE86

## الفصل الثانى

# طبيب الأطفال

لم يدم طويلاً طيب الحياة والهناء أمام روزالين، إذ سرعان ما ضاع اطمئنانها وسط خضم المشكلات العائلية التى تثور من حين لآخر فى ذلك البيت الذى جاءت للعمل فيه. حيث ارتفعت الأصوات الغاضبة على الفور فى أعقاب تصريع الباب الخارجى بشدة، وبدا أن رجلين من العائلة ينزعان إلى التصادم والمشاجرة.

كانت روزالين تجلس فى غرفة الجلوس، فنهضت للمغادرة، مفضلة عدم الوجود فى شيء لا يعنيها. وبسرعة عمدت إلى التسلل عبر الباب المؤدى إلى المطبخ، ولكن ظهر لها أن مدام هاريس كانت قد أغلقته من قبل.

عادت روزالين أدراجها بحذر شديد إلى غرفة الطعام الرئيسية، غير أن قلبها أخفق عندما تحققت من أن الباب مفتوح جزئياً ويؤدى مباشرة إلى صالة المدخل، حيث تحتدم حدة المناقشة والشجار. ولم يكن أمامها شيء تفعله سوى المكوث حيث كانت، وأحست بأنها وقعت فى فخ. ربما تهدأ



الانفعالات. صرخ الأب قائلاً:

ـ لن أسمح لمكانتى فى هذا المنزل وفى العائلة بأن يقوضها أحد. وانى أصر على معرفة ما الذى يحدث ههنا بحق الشيطان. وأنت على وجه الخصوص دون الناس أجمعين تعلم بأننى على الرغم من كبر سنى إلا اننى لا زلت أتمتع بكامل قواى العقلية!

رد صوت لشاب أصغر سناً غير أنه على نفس القدر من الحزم:

ـ يا أبتى، ليس ثمة حاجة تستدعى منك أن تقول هذه الأشياء، إذ ليس هناك أى مضمون من أى نوع قصد به ذلك! إن «رودريك» بحاجة إلى مساعدتى له، باعتباره شقيقى الأصغر. ألم تكن تصر دوماً على أن أقوم بمراقبته؟ حسناً، إن هذا هو بالضبط ما كنت أفعله، وليس منذ تم ولادته، ولكن حتى الأيام القليلة الماضية.

وإنى لأخبرك بأنه قد سافر خارج البلاد، وهذا هو كل ما سمح لىّ أن أقوله لك!

ـ يا الهى. هل أستحق كل ذلك من ابنى! بالتأكيد كنت استحق شيئاً أفضل من ذلك ليسوقه عذراً؟ إن لديه زوجة أعلى الدرج على وشك الولادة، ومع ذلك فقد غادر البلاد وسافر! وفى نفس الوقت تمرض زوجته كمداً عليه من القلق، ومن الطبيعى أنها تريده بجانبها فى هذا الوقت العصيب. فكيف نبرر اختفاءه لها؟ قل لىّ فحسب كيف نبرر ذلك؟!

ـ كل ما هنالك أننى لا أعلم يا أبتى، وهذه هى الحقيقة. إن كارمليتا ينبغى أن نوفر لها الحماية ضد الإحباط



WWW.BEWEY.COM
GEGE86

نظراً لظروفها الصحية الخاصة، وكل منا بحاجة إلى أن نتحمل شطراً من المسئولية، ونحن نرى ما بها من بلاء. لماذا لا نترك هذا الموضوع جانباً لمناقشته فيما بعد، طالما قد اتفقنا على أن كارمليتا هى الاهتمام الأول فى هذه اللحظة. ما دامت الأمور تمضى على هذا النحو...

ولم يمض وقت طويل حتى دخلت على روزالين المدام هاريس قالت:

ــ هيا بنا أيتها الممرضة. سوف نصعد الدرج. لقد دخل الآن السيد الكسندر. وسوف يراك فى خلال نصف الساعة فى مكتبه. وإنى لعلى يقين من أنك سوف تجدين أنه لطيف سهل التعامل. وكل ما نريده لمدام دالغليش هو أن تلد طفلاً صغيراً جيلاً وممتلىء الصحة، ثم استعادة صحتها مرة ثانية.

ــ أتفق معكى فى كل ما تقولين يا مدام هاريس. ولكن متى جاء زوجها ولازمها، فسوف تكون أفضل حالاً.

قالت مديرة المنزل بحياء:

ــ سوف نرى يا عزيزتى. سوف أتركك الآن. سوف تجدين مكتبه أمام الصالة المقابلة لغرفة الطعام.

وبمجرد أن ألفيت روزالين نفسها بمفردها، لم تنظر فيما حولها من أمتعة، بل كانت تتوق إلى مقابلة «السيد الكسندر» توقاً شديداً وإذا كان صوته الذى إستمعت إليه يشف عن شيىء أو ينم عن خصلة من خصاله، فإنه يدل على أن صاحبه ذو سطوة هائلة.

وسرعان ما غيرت ملابسها وارتدت أفضل ما لديها من ملابس تعتقد أنها تزيد من ثقتها بنفسها وتضفى عليها هالة من الجمال والفتنة تستعين بهما على مواجهة ذلك الرجل القوى الذى



يقبع داخل مكتبه فى انتظارها.

ولما حان الوقت للذهاب شعرت فجأة بأنها تشعر بالحر والضيق وتوتر المزاج، فخلعت الجاكيت الذى كانت ترتديه وألقت به جانباً تلقائياً وهى تأمل فى أن القميص الحريرى المنعش والناصع البياض ذى الأكمام الطويلة، سوف يعاونها على حسن التصرف ولباقة القول، ثم تدبر الأمور مع الرجل.

ولما قرعت الباب، انفتح تلقائياً أمامها كاشفاً عن شخص مهيب يجلس فى مقابلها، فراحت تتردد أتدخل أم تتراجع، خاصة وأن وسامته تضفى عليه هالة من الجمال، إذ أن عينيه زرقاوان صافيان بلون البحر، وشعره الكثيف الداكن يسترسل على ملامح وجهه الذكى المنعم... لقد كان ذلك الشخص هو الذى يقود السيارة «الجاكوار» ذات اللون الأخضر الغامق. بدت الدهشة على وجهها فأوغرت فاهها طويلاً، حتى استطاعت بشق النفس أن تقول «مساء الخير»... ثم استسلمت للحيرة التى استبدت بها.

أخذت الدهشة تصيب الكسندر كذلك، حتى اتضحت له الأمور، وبدت تعابير نفاذ الصبر على ملامحه فقال:

ــ يا الهى يا له من عالم صغير ذلك الذى نعيش فيه. إذن أنت الآنسة روزالين بينيت. يا للمفارقة!

وكان صوته جذاباً، ذلك الرجل الذى قدمت له العون وكانت سعيدة بذلك وأخذ سحره يشغف عقلها ويسلبها. انه السيد الكسندر دالغليش، رئيس العمل فى فترة الثلاثة أشهر القادمة.

دعاها قائلاً:

ــ تفضلى بالدخول. اجلسى على ذلك المقعد.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

وبعد أن جلس قال :

ـ يا لها من مفارقة عجيبة .

قالت :

ـ لست أرى شيئاً عجيباً فى تعيين ممرضة موقتة لمنزلك يا سيد الكسندر! هل تريد أن تغير رأيك؟ أم ماذا تراك تتعجب ؟

قال بأسلوب فظ :

ـ كلا ، ليس ثمة وقت من أجل ذلك . إن أوراقك القادمة من الوكالة تبدو منسقة ومنظمة ومستوفاة .

وكان ينظر إليها من فوق الأوراق التى كانت متروكة على مكتبه ، ويتفحصها بعناية ، أضاف :

ـ لقد علمت بأنك رأيت المدام دالغليش الصغيرة ؟

ـ أجل ، لقد أثار الشفقة عندى أننى وجدتها فى حالة إحباط . وكل ما أستطيع أن أفهمه هو أنها تعانى من حالة من نوبات الهستيريا . حيث إنه من الواضح أن زوجها غائب عنها ، ولا يعلم أحد أين هو ، وهو الأمر الذى يفاقم من تعقيد الأمور والحالة . وفى رأيى يجب اخبارها بما يدور حولها .

تنهد الكندر تنهيدة طويلة ساخطة وصاح :

ـ إن الوقت الذى أمضيته هنا قصير وليس ذلك باليسير عليك حتى تدلى بآرائك فى ذلك الموضوع الخاص ، يا آنسة بينيت . إذ أننى أنا بنفسى لست فى حرية أن أتطرق فيه . ولسوف أكون ممتناً إذا بذلت أقصى ما تستطيعين من أجل إبقاء المدام دالغليش فى حالة طيبة وصحية ، وأن تحاولى أن تهدئى ممن روعة مخاوفها .

ـ أنت تطالبنى بما هو فوق طاقتى ! كيف بوسعى أن أبدد



مخاوفها إذا لم أحصل على إجابات بشأن تساؤلاتى ؟

وراحت عيناها الواسعتان الخضروان اللتان تميلان لأعلى ، تومضان تجاهه فى بريق أخاذ .

ـ أعلم بأن المهمة لن تكون يسيرة ، غير أن هذه هى حقيقة الموقف كما هى ماثلة أمامنا . وأقول لك إننى إمرؤ مشغول للغاية ، هل تفهمين ، وأتطلع إليك لكى توفرى لزوجة شقيقى كل الرعاية والعناية وكذا التفاهم على قدر ما تستطيعين ... ولسوف أكون ....

دخلت فجأة المدام هاريس بعد قرع الباب قرعة خفيفة وهى تحمل صينية عليها إناء القهوة والفناجين وأطباق الفناجين . قالت :

ـ معذرة أيها الطبيب ، لقد ظننت أنكما سوف يستهويكما شرب القهوة أثناء الاستغراق فى الحديث . ولا داعى للقلق يا آنسة بينيت حيث إن مدام دالغليش الصغيرة بعد أن أضنت نفسها فى القلق ، راحت فى نوم عميق .

وبعد أن انصرفت مدام هاريس ، تردد فى أذن الآنسة بينيت ما قالته بشأن مخاطبتها السيد الكسندر قائلة أيها الطبيب ، فهل هو حقاً طبيب ؟ كيف لم يتسنى لها أن تعرف ذلك من قبل ؟ ثم ما هو تخصصه فى الطب إذن . ثم أخذت توثب نفسها ، على تصرفاتها المتعجرفة معه ، وتباهيها بمعرفتها الضئيلة فى عالم الطب والعلاج ، ثم تذكرت كيف أنها اقترحت عليه ان يجرى آشعة اكس على يده ، وهى التى تورمت تورماً بسيطاً لا يستدعى ذلك .

ـ هل سوف تتناولين بعض القهوة يا آنسة بينيت ، لقد انصرفت المدام هاريس إلى الجحيم .



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ـ أشكرك. لقد خاطبتك المدام هاريس قائلة «أيها الطبيب».

رفع الكسندر أحد حواجبه، وترتسم على شفتيه ابتسامة، قال:

ـ أنا مستشار فى طب الأطفال. لقد حسبت أنهم قد أخبروك فى مكان العمل أننى كذلك.

ردت الآنسة بينيت قائلة باقتضاب:

ـ كلا انهم لم يفعلوا.

ـ هل لو كانوا أبلغوك فى الوكالة، كنت قد غيرتى رأيك وقرارك الخاص بالمجيء إلى هنا ومباشرة العمل؟

ـ كلا على الاطلاق. كل ما هنالك أننى أريد أن أكون فى الصورة.

ـ وعلى الجانب الآخر، كان بمقدورى ألا أخبرهم. لقد كنت غارقاً حتى أذنى فى العمل فى الفترة الأخيرة. وخلال الشهرين الأخيرين كانت الحياة تبدو نسبياً هادئة ومسالمة.

حاولت الآنسة بينيت أن تنأى بنفسها بعيداً عن الخلافات العائلية فى هذه الأسرة المفككة، وذلك حتى لا تتورط فى مشكلات مع أحد، وما أن وجدت الكسندر يخوض فى المسائل العائلية الخاصة به، حاولت أن تدير دفة الحديث بعيداً إلى موضوع آخر، قالت:

ـ هل لديك عيادة فى مكان بعيد عن مدينة «موفات»؟

ـ أجل، وعادة أقسم وقتى بين مدينة «ادينبرغ» و«غلاسكو». وإذا كان ثمة عمل يحتاج إلىّ فى مدينة «موفات»، فانهم يستدعونى فأذهب.

أنهت الآنسة بينيت احتساء القهوة ووضعت الفنجان جانباً



قالت:

ـ سوف أتركك الآن. وسوف أقدم لك تقارير يومية عن حالة المدام دالغليش. طاب مساؤك.

ـ يا آنسة بينيت. أعلمى بأننى سوف أعمل فقط فى «ادينبرغ» أثناء الأيام القليلة القادمة. فإذا احتجت إلىّ فى شيء ما، فإن أرقام الهاتف مكتوبة على مكتبى بجوار الهاتف.

ثم هرع ينهض واقفاً ويسرع فى فتح الباب لها. ولما اقتربت منه لاحظت خطوط الجزع والقلق ترتسم على عينيه، وساد التوتر على ملامحه فى الوقت الذى كان ينبغى أن تنبسط أساريره بابتسامة لها. قال:

ـ على فكرة، احتفظى لنفسك. أننى أنا وأنت قد تقابلنا فى الطريق فى وقت سابق. إن لدى أسباباً خاصة فى ذلك.

وأثناء صعودها الدرج إلى غرفتها، راحت روزالين تقاوم من حدة عدائها للكسندر، وكان من الواضح أنه يعانى ممن وطأة المشكلات الكثيرة، ولكن ما الذى يجعله هكذا متحفظاً بشأن البوح بها؟ كما كان واضحاً أنه سوف يستغل الوضع الجديد لصالحه وضع صاحب العمل نحوها.

وبينما هى تأخذ حماماً دافئاً ومنعماً، راحت تتفكر ملياً فى الأحداث التى وقعت فى ذلك اليوم، وهى مدركة للنواحى الخفية التى تشكل العلاقات بين أفراد الأسرة فى ذلك البيت الذى تعمل فيه. أما حقيقة أنه طبيب ومستشار فى الطب، فقد عبثت بها عبثاً أبعد مما كانت تتصور. يا له من انسان شكس، كان يجب عليه أن يعلمها حينما كانت تملى عليه التعليمات بمداواة العطب الذى أصابه، وحينما أخبرته أنها ممرضة، كان يجب عليه أن يقول لها انه طبيب. أما الآن وقد



WWW.REWITY.COM
GEGE86

حدث ما حدث، فلا بد وأن القوم بالمستشفى قد سخروا منها، وملأهم اغتباطاً مساعدته، رداً وعرفاناً بما أسدى لهم من عون. فهل سوف تستطيع الخروج من هذا الخطأ وهذا المأزق؟

راحت الفتاة تجفف جسدها بالمناشف الرقيقة التى كانت فى الحمام والتى تتصف بالنعومة والرفاهية، ثم خرجت متوجهة إلى فراشها الوثير وقد استبدت بعواطفها ووجدانها عدة أسئلة لا تجد لها أجوبة شافية. إذ ما الذى حمل ألكسندر دالغليش على السفر وترك زوجته دون أخبارها بذلك؟ وكيف أن أخاه قال لها فى المستشفى إنه كان مقرراً أن يصطحب أخاه إلى المستشفى فى نفس ذلك اليوم؟ يا لها من أسئلة محيرة لا تلقى لها جواباً شافياً.

أخيراً وصلت روزالين إلى فراشها وقد انتهت إلى قرار مؤداه أنها لا تستطيع أن تفعل أكثر مما فعلته فى هذه المرحلة، وربما وجدت ردوداً على أسئلتها تفسر لها غموض أحوال هذه الأسرة المضطربة التى تعمل عندها، فى مرحلة تالية. وأن الشيىء الأكثر الأهمية الآن هو تطمين مدام دالغليش، والوصول بها ومرحلة حملها للجنين إلى مرحلة الولادة المرضية، وسلامة الصحة.

بعد ذلك بثلاث أو أربع ساعات، وقع ما أزعج روزالين، فنهضت منتصبة واقفة. إنه جرس كارمليتا. فهرعت ترتدى ملابسها وتوجهت إلى غرفة النوم. كانت كارمليتا ترقد فى فراشها المتجعد المتغضن، وقد ألقى مصباح الفراش الصغير أشعة من الضوء كشفت عن قلقها ووجهها المشبع بالدموع. قالت روزالين:

ــ كارمليتا ماذا بك ماذا دهاك؟ هل ثمة شيىء



يزعجك؟ ماذا تريدين؟ ارتعدت شفتا الفتاة وهى تقول:

ــ أنا آسفة. لقد كانت ليلة سيئة. انه كابوس. لقد رأيت فى المنمم رودريك يناديني، وفى كل مرة أجرى إليه، يبتعد عنى أكثر فأكثر.

ثم دفنت وجهها فى يديها، وانخرطت فى البكاء وانهمرت الدموع تبللها. عبست روزالين قاطبة وصاحت:

ــ أرجوك لا تحبطى نفسك هكذا يا عزيزتى، هذا ضار بك وبالجنين. سأهبط الدرج وأحضر لك مشروباً دافئاً. إذا أحببتى ذلك. ثم أقرأ لك شيئاً من الكتب حتى تشعرى بالنوم وتنعسى. وإلا أعطيتك حبة من الحبوب المنومة التى وصفها لك المعارس العام.

ــ أشكرك. أقرأى لى شيئاً من كتاب.

هدأ روع كارمليتا الآن رويداً رويداً، حتى ارتسمت ابتسامة على شفتيها. قالت:

ــ أيتها الممرضة، أحسب أن الأفضل من القراءة أن أحكى لك عن رودريك زوجى هل تقبلين؟

ــ بالطبع أوافق. ولكن هيا أشربى هذا أولاً، ودعينا نأمل نسيان كل شيىء يتعلق بالحبوب المنومة.

أطمأنت كارمليتا فى مضجعها، وقرت فى مخدعها ساندة ظهرها على الوسائد الرقراقة بعد ان انتهت من احتساء اللبن الذى قدمته لها روزالين.

ــ إن رودريك وسيم للغاية، وهو طويل القامة، وشعره بنى كالذهب، أما عيناه فهما لامعتان. وحينما يضحك تضحك الدنيا كلها معه.

فى أول مرة التقيت به فيها حينما جاء إلى بيت أبى مدعواً



WWW.REWITY.COM
GEGE86

على العشاء ثم جاء إلى زيارة مزارع الخيول التى نمتلكها. وقتذاك كنت أنا ورودريك نتبادل النظرات وننظر كل منا إلى الآخر ونطيل ذلك. لقد كان ذلك بمثابة الحب من أول نظرة، ولن أنسى ذلك أبداً! ثم سرعان ما تحقق أبى من أننا «أنا ورودريك» لانستطيع احتمال البعد عن بعضنا البعض، وبسبب أننى الابنة الوحيدة له، فهو كان ينصحنى دائماً بالتريث والتفكير ملياً وبعناية، إلا أنه فى نفس الوقت كان يرى فى عينى وفى قلبى كل ما تجيش به مشاعرى وأحاسيسى، وينفذها على الفور باعتبار أن رغباتى أوامر. ثم يقبلنى ويقول: أنت تشبهين أمى العزيزة التى توفيت، فكيف يتسنى لى أن أرفض أوامرك. ثم سرعان ما بارك زواجى أنا ورودريك.

هزت كارمليتا كتفها هزة خفيفة ثم واصلت حديثها قائلة:

ــ لقد تزوجنا فى بيونس آيرس، وكان أسعد يوم فى حياتى. ولقد قضينا شهر العسل فى جبال «بوجوتا». وبعد ذلك، رغب رودريك فى أن ينتزعنى من بيت أبى وإحضارى إلى أراضيه. وقال إن كل شيء سيكون على مايرام. ووعدنى بتشييد بيت لى، ونستطيع تكوين عائلة صغيرة خاصة بنا. ولكن الآن، لا أستطيع أن أتبين ما هو الخطأ الذى اعترى علاقاتنا، إذ من المستحيل أن يكون هو قد نضب حبه لى ولم يعد يعشقنى. فلا أستطيع تصور حدوث ذلك. إن ابنى القادم يحتاج إلى وجود أبيه تماماً مثلما أحتاج أنا إليه. وكان معتاداً على شراء الهدايا لى وترتيب المفاجآت السارة، واهدانى فوق ما أريد. ولكنه يعلم أننى لا أريد شيئاً سواه، أريده هو فحسب. لقد بعثت الملائكة إلىّ أيتها الممرضة الطيبة، لقد أصبحت الآن أفضل من قبل، وأشعر الآن بتحسن وبالرغبة فى



النوم والنعاس.

عند ذاك، ساوت روزالين لها الفراش ثم انسحبت خارجة من الحجرة على أطراف أصابعها، وهى بعد سعيدة وراضية من أنها مريضتها قد نامت وسوف تحصل على قسط من الراحة فى ليلتها هذه.

وفى صباح اليوم التالى، ومع سطوع الشمس، أصبحت روزالين سعيدة بتبدد مخاوفها بشأن كارمليتا وحالة الحمل، واحتمال حدوث متاعب فى الولادة، وكذلك أصبحت كارمليتا هادئة وديعة، وقد داعبتها مشاعر الرضا والسعادة فراحت تداعب من حولها، خاصة حينما كانت روزالين تساعدها على الاستحمام وارتداء الملابس. وحينما وصلت المدام هاريس تحضر طعام الأفطار، وتضعه فى البلكونة الخاصة بحجرة كارمليتا، التى تشرف على المروج الخضراء وحدائق الزهور. قالت كارمليتا:

ــ بعد تناول الأفطار سوف أهبط أسفل الدرج أيتها الممرضة. فلا يستبد بك القلق ــ فأنا أشعر بتحسن فى هذا النهار.

وتواردت الذكريات على مخيلة كارمليتا وهى جالسة تتناول الطعام فى غرفة السفرة الصغيرة، حيث كانت قد دعيت على تناول العشاء مع ألكسندر دالغليش فى الماضى، ولمقابلة أبيه، وفى ذلك الوقت نهض ألكسندر حين دخلت الغرفة وقال لأبيه:

ــ أقدم إليك روزالين بينيت يا أبتى، وأقدم إليك يا روزالين أبى الكولونيل دالغليش. قال الأب:

ــ صباح الخير يا آنسة بينيت. إنى أتعشم أن تستقرى هنا معنا وتنعمى بالسعادة فى كنفنا. إن زوجة ابنى فى حاجة إلى





WWW.REWITY.COM
GEGE86

إمرأة أخرى جميلة مثلك كى تسلى أوقاتها، وهذا اعتراف منى بأنك جميلة وحسناء يا آنسة بينيت.

وفى ذلك الحين دخلت المدام هاريس وهى تحمل القهوة الساخنة وقدمتها لهم من الأطباق الفضية. وانخرطوا فى الحديث وتبادل الحكايات شطراً من الوقت، كان ولا ريب وقتاً سعيداً، حتى جاءت لحظة توقف السكندر دالغليش، وراح ينظر إلى روزالين فى تدبر. ثم نهض واقفاً وقال:

ــ سيكون أبى فى خدمتك وسيفعل لك كل شيىء ترديده.

ونظر إلى ساعة اليد الخاصة به وهو يزيح أساور القميص البديعة لكى يرى الساعة، ونهض يرتدى الچاكيت الرمادى الباهت الخاص ببذلته ويقول:

ــ إننى آمل أن الدكتور روبرتسون سوف يتصل بى. وأعلم أن لديه الكثير مما يشغله. يجب علىّ الآن أن أطير. إلى اللقاء الآن.

وقتذاك ابتسم الكولونيل ابتسامة ساخرة، وقال:

ــ أنتم أيها الأطباء دائماً مندفعون متسرعون مشغولون. وهذا ليس طيباً لكم، وأنتم تعلمون ذلك!

وبعد تناول طعام الغذاء التقت روزالين وكارمليتا فى الحديقة حيث كانت تسرع احدى السيارات ووقفت وقفة فجائية فسحقت الحصباء ورمال الأرض الواقعة بين المروج. فهرعت كارمليتا تنظر، وسرعان ما أعتلى الشعور بالاحباط على ملامح وجهها وعينيها لحظة من الزمن، وصاحت:

ــ هل تعلمين يا روزالين أن رودريك يقود سيارة «چاجوار» يحبها حباً جماً ولا يستطيع الانفصال عنها. ولقد



كنت أقول له دائماً إنها صارت قديمة ويتعين عليه أن يشترى سيارة أخرى بدلاً منها. ولكنه لم يكن يستمع إلىّ أبداً. وكان دائماً يقول إنه يعشقها، ويحب هذا التنين القديم. ولم أكن أفهم ما الذى يعنيه أو يقصد. وكان يصر على القول بعبارات لا أفهمها وتجعلنى أضحك! لقد مضى على رحيله عنى أسبوع الآن أيتها الممرضة.

فجأة ولحسن الحظ، هبط من السيارة المستر روبرتسون الطبيب الممارس العام، وأخذ يلوح بيديه يحيى المرأتين: المدام دالغليش والممرضة روزالين، وتوجه إليهما يقترب شيئاً فشيئاً.. قال:

ــ لقد كلمنى الكسندر عنك يامدام دالغليش كيف حالك. وأنت مرحباً بك يا روزالين جميل أن أراك مرة ثانية.

قال الدكتور روبرتسون:

ــ هل علمتى إلى أين توجه زوجك يا كارمليتا؟ هل أخبرك بشيىء ما عن وجهته التى قصدها؟

ــ كلا البتة. لقد أخبرنى الكسندر فى اليوم السابق على حضورك أنه سوف يشرح لىّ ويخبرنى. إذ كان مطلوباً منه الانصراف على وجه السرعة والعجلة.

ــ أحسب أنه من الأفضل الآن أن ندخل إلى المنزل، يا كارمليتا. حيث إن الجو يزداد برداً بمرور الوقت، واحتجبت الشمس.

ــ حسناً، فلنفعل، لقد أصابنى بعد الصداع. وأرغب فى الاضطجاع والهجوع.

وحينما صعدوا أعلى الدرج، وبعد أن تم تطييب خاطر كارمليتا التى استبدت بها المخاوف بشأن زوجها. عاودت



WWW.REWITY.COM
GEGE86

روزالين مخاطبة كارمليتا والتخفيف من الامها. ولما مضى الشطر الأكبر من اليوم، وعاودت الآلام المدامع الكسندر دالغليش، وجدت روزالين أنه من الأنسب معاودة الاتصال مرة ثانية بالطبيب المعارس العام روبرتسون. وكان قد انصرف مبكراً. إلا أن موظف الاستقبال في عيادة الجراحة أجاب بأنه خرج، فأخبرته بتوصيل رسالة لديه، وأن يطلب منه الاتصال بالمنزل. وقالت:

ـ أرجوك، أنا في حاجة إلى بعض الأجهزة الطبية للقيام بالاختبارات الأولية، وبخاصة المضغاط، جهاز قياس ضغط الدم الشرياني على سبيل المثال. حيث إن الدكتور دالغليش الآن في ادينبرغ، وأشعر بسعادة وأكون ممتنة لو اتصل الدكتور روبرتسون على الفور.

ولما وصل د. روبرتسون فيما بعد ذلك بساعة، فتح حقيبة على المنضدة وقال:

ـ لو أن كارمليتا نائمة قل أصعد الدرج وأزعجها، ولكني أحضرت معي جهاز قياس ضغط الدم اضافي سأتركه لك بالاضافة إلى السمّاعة الطبية. وأرجو منك أن تقيسي ضغط الدم للمدام دالغليش بمجرد استيقاظها من النوم. واتصلي بي مهما كانت النتيجة.

وما أن خرجت روزالين من غرفة كارمليتا حتى وجدت وهي تهبط أسفل الدرج العظيم أن الكسندر دالغليش قد حضر ووصل إلى الباب الرئيسي، والكلبان «برنس»، و«كينج» يزحفان بجنون عبر أبسطة الصالة لتحيته والترحيب به. صاح الكسندر:

ـ هالو أيها الولدان، نعم، حسناً، حسناً. كفى..



كفاكما الآن.

ونظر لأعلى حينما ضحكت روزالين على المنظر العاطفي والفوضى التي آثارها الكلبان، كما لو كان قد فوجيء برؤيتها. قال:

ـ أوه، مساء الخير يا أيتها الممرضة. كيف حال المريضة؟

قدمت روزالين تقريراً شفهياً مختصراً عن كيف انقضى اليوم، وكيف أنها طلبت من الدكتور روبرتسون الاتصال، وأخبرها بمكالمته عند الضرورة.

قال الكسندر:

ـ آنسة بينيت، لقد قضيت ههنا وقتاً قصيراً جداً، فهل تشعرين أن ذلك هو ما تريدينه حقاً؟ قالت:

ـ أيها الطبيب دالغليش، أنا أعلم طبيعة عملي الذي أتيت من أجله ـ لقد أخبروني بالمزيد عنه في الوكالة. قال:

ـ لا بد وأن تعلمي أن وظيفتي وعملي عمل ومهنة شاقة. وغالباً أخرج لإلقاء المحاضرات، وحضور المؤتمرات الطبية، والأمور في المنزل ليست يسيرة حتى الآن. ولم أحلم بالحصول على ممرضة للعناية بزوجة أخي في الظروف العادية. إن كارمليتا صغيرة السن، مرفهة ومدللة، كما أنها غنية، وفوق ذلك عديمة الخبرة ويتيمة الأم. فهل تفضلين التفكير مرة أخرى بشأن إقامتك هنا، أم أنك مستعدة للاستمرار في العمل وفقاً للشروط السابقة، بعد أن أيقنت مقدار المشاق والمصاعب التي تكتنف عملك ههنا؟

ـ سوف أمكث طالما أردت لي الأقامة، وإلا رحلت، فهل هذا يلائمك؟ قال الكسندر دالغليش:

ـ أحسب أن ذلك حسن ويلائمني. فلا ضير.. وأقدر لك



WWW.REWITY.COM
GEGE86

حرصك وهو ما يحملنى على الثقة فيك يا آنسة بينيت.

ـ أشكر لك ذلك.

ـ إذن حان الوقت لأن أزودك بالقليل من المعلومات عن خلفية الأمور ههنا تلك التى تدور فى هذا المنزل.

هفا قلب إلى الطبيب الكسندر دالغليش وقالت:

ـ أنت فى حل من ذلك أيها الطبيب، فلا داعى.

ابتسم لها ابتسامة ساحرة جذابة، أنستها نفسها وجعلتها تسرح وتهيم فى جمال وقسمات وملامح الكسندر وتقاطيع جسمه الملائمة والقوية. قالت:

ـ أجل. أنت على حق.

وأيقنت روزالين أن الكسندر برغم من أن ابتسامته مثل السماء الصافية الخالية من السحب فى يوم من أيام فصول الصيف، إلا أن مزاجه وطباعه كانت متقلبة ومتحولة تماماً مثلما يتصف جو وطقس اسكتلندا نفسه.

## الفصل الثالث

## كارملينا فى المستشفى

نهض الكسندر دالغليش واقفاً وهو فى حالة من الأرق، وضغط على زر المصباحين الكبيرين الخاصين بإضاءة المنضدة، وأزاح الستائر الطويلة التى تشغل حيز الحائط بأكمله وتغطى النوافذ، وتعمل بالكهرباء. ثم صب لنفسه كأساً من الويسكى وجلس، وهو يبتسم لروزالين ابتسامة حائرة وهو يقول فى هجوع وسكون:

ـ يعانى أبى من أحد أشكال التهابات المفاصل والعظام، على الرغم من أنه يكره الحديث عن هذا المرض. ويتحمل آلام المفاصل ويعاود زيارة المستشفى المحلى طلباً للعلاج الطبيعى فى شكل الحرارة والتدريبات والتمارين. ويتكأ على عصا، أما المناقشة بشأن اجراء عملية جراحية له لتخفيف أوجاعه، فهى بالنسبة إليه شيىء بغيض ومقيت للغاية، وهى الأمور التى تطيش بصوابه وتجعله مشاكساً بمرور الوقت، إلا أنه بصفة عامة يتمتع بصحة جيدة. وله إرادة حديدية ولا يزال يتطوف بسيارته من طراز «رينج روفر» كى يشرف على العمل فى الضياع



WWW.REWITY.COM
GEGE86

والأطيان والممتلكات الخاصة به. والأسوأ من كل هذا أنه يفتقد أمي بدرجة سنية. حيث إنها كانت قد ماتت منذ ١٠ سنوات ورحلت.

لقد ولد رودريك في مرحلة متأخرة من حياتها — وكانت أمي حينذاك تبلغ من العمر الثالثة والأربعين، وكنت أبلغ تقريباً العاشرة من عمري وكنت بعيداً عنهم في احدى المدارس الداخلية. ولكن الزمن كان يمر سريعاً، وبمروره كان أيضاً يغير ويبدل من حال إلى حال. حتى تخرج رودريك أخيراً من الجامعة وكان واضحاً أنه يحب ويعشق لغة الأرقام والحسابات، فتوسط له أبي كي يعمل في أحد البنوك التجارية في أدينبرغ. وحقق نجاحاً باهراً، ودخل مزايداً في بورصة الأوراق المالية وحقق مبالغ طائلة من المال، بعدها سافر إلى خارج البلاد حيث حقق المزيد والمزيد من الأموال.

واستمر رودريك يحكي لروزالين قائلاً:

— ولم نسمع عنه كثيراً بعد ذلك. ولكن سعد أبي أيما سعادة حينما استلم خطاباً منه جاء من خارج البلاد حيث كان يدير شئونه هناك، وفي العام الماضي، حينما بلغ رودريك السابعة والعشرين، جاء بالزيارة كي يشارك في الاحتفالات. بعد ذلك رتب أموره على العمل كوسيط في بنك «ميدلاندز». وكان كل شيء يسير سيراً حسناً، خاصة عندما أخبرنا أنه قد وقع في حب كارمليتا ميندوزا في الأرجنتين، وهي الإبنة الوحيدة لأحد كبار مربي الخيول الأغنياء الذين ذاع صيتهم في وطنهم. أما المفاجأة فهي أن رودريك كان يخطط من أجل الذهاب إلى الأرجنتين كي يعود بها إلى ههنا.

وبمرور الوقت، وصلا، وكانت في مرحلة الحمل المبكر



نسبياً — إذ أنهما كانا قد تزوجا في بيونس آيرس، وهي لا ريب قد حادثتك في هذا الموضوع يا روزالين، وبنفس ترتيب وسياق الأحداث التي سردتها عليك. وليس هناك ما أقوله لك أكثر من ذلك سوى لقائنا لأول مرة في ظهيرة ذلك اليوم الذي كنت عائداً — ليس من أجل التوجه به إلى المستشفى — حيث كان ذلك اعتقاداً مني، بل إلى برمنجهام حيث يدير رودريك أعماله التجارية من هناك. لقد اتصل بي هاتفياً وطلب مني الحضور فوراً. لقد كان يعاني من متاعب واضطرابات مالية، وكان كل ما يريده هو القليل من الأيام، حسبما كان يقول. وكان مقرراً أن يجري مقابلة من واحداً أو أثنين من عملائه، وأرجو منك ألا تبوحي بشيء من هذا الذي قصصته عليك لزوجته.

وكنت قد توسلت إليه أن يسمح لي بإخبار زوجته بالحقيقة، وسبب سفره، ولكن لم يجدي معه محاولاتي في جعله يغير من رأيه. وأخيراً، ساعدته على قضاء بعض حاجياته، ووعدته بإحضار سيارته إلى المنزل — وذلك هو السبب في أنني طلبت منك ألا تذكري اجتماعنا لأنني كنت في سيارة رودريك. إذ قال لي سلفاً إذهب بالقطار، وتوجه هو من أجل لقاء أحد أصدقائه في نفس الليلة.

واصل الكسندر حديثه لروزالين قائلاً:

— وإني إذ أخبرك بكل هذه الأسرار والتفاصيل كي أمنع كارمليتا من معرفة الحقيقة قبل أن تلد طفلها. لقد تلقت صدمة قاسية وهي بحاجة إلى يد حانية تساعدها وترشدها وتأخذ بها إلى بر الأمان. ذلك ان كل شيء غريب وشاذ بالنسبة لها في هذه البلاد، وهي حتى الآن أمامها فرصة ضئيلة ذات قيمة



WWW.REWITY.COM
GEGE86

كى تتأقلم على هذه الحياة.

قالت روزالين:

أؤكد لك يا الكسندر أننى سوف أبذل قصارى جهدى من أجل أن...

حينئذ انفتح باب المكتبة بقوة وعنف واندفعت مدام هاريس تقتحم المكتبة، وهى فى حالة من القلق والانزعاج التى ذهلتها عن مراعاة أبسط أنواع اللياقة والأصول: صاحت تصرخ:

ــ إنها مدام دالغليش، هيا الحقوا بها، بسرعة... قال الكسندر:

ــ حسناً يامدامم هاريس، سأتصل بالدكتور روبرتسون. أما أنت يا روزالين فهيا انطلقى إليها.

ثم فى خطفة واحدة وصل إلى الهاتف والتقط السماعة.

وسبقت روزالين المدام هاريس متوجهة صوب كارمليتا وهجرتها. وكان جهاز التليفزيون مفتوحاً دونما مشاهدة أحد له، ووجدوا كارمليتا فى حالة سيئة للغاية، وهى ترقد على الفراش وقد التف جسدها من جانب لآخر. قالت:

ــ لقد عاودنى الصداع الرهيب مرة ثانية، والآلام، ربما كان السبب فى ذلك الجنين، أعتقد أنه الجنين!

قالت روزالين وهى تثبت رابطة جهاز قياس ضغط الدم الشريانى لكارمليتا فى ذراعها الأعلى وهى بعد تبكى، وتحكم ربطه وتضغط على أنبوبة هواء الزئبق كى يرتفع لأعلى المؤشر فى العمود المدرج:

ــ كلا، كلا، يا كارمليتا، أنتى تزعجين نفسك بلا داع أو سبب، يا عزيزتى. ثم وضعت روزالين السماعة الطبية على



الشريان النابض، وخفضت تدريجياً من ضغط الهواء، وراحت تنصت وتستمع إلى النبضات وتتابع الزئبق، لقد كان هناك ارتفاع فى ضغط الدم تعانى منه كارمليتا. فأخبرت الكسندر بالنتيجة. فتوجه إلى كارمليتا وهو يداعب شعر رأسها ويبعده عن جبهتها:

ــ والآن أخبرينى يا عزيزتى، أين موضع الألم فى البطن. إن كل شيىء سيكون على ما يرام.

وصل دكتور روبرتسون بعد دقائق، وبعد أن قام باجراء فحص أولى واجتمع مع الكسندر، اتفقا على أن ما تعانى منه الفتاة هو ببساطة أمر يدعو إلى نقلها على الفور إلى المستشفى فى هذه المرحلة من أجل اجراء الفحوص الطبية.

قال الدكتور روبرتسون:

ــ هذا لا يشكل طارئاً ملحاً حتى الآن. وأعتقد أننا قد توصلنا إلى التشخيص الخاص بآلام البطن الذى تعانى منه على أنه فى الاحتمال الأعظم توتر عصبى. إلا أنه من الأفضل أن نأخذ جانب الأمان بدلاً من الندم فيما بعد. ويجب الاتصال بأخصائى أمراض النساء المستشار الطبى لها. وهو الآن فى جلاسكو، أليس كذلك يا الكسندر؟

ــ أجل هو فى أدينبرغ وكان معى هناك بالأمس، كالمعتاد، وسألنى عن حالتها.. لقد تفحص حالة كارمليتا منذ أسبوعين، وكان كل شيىء فى حدود الطبيعى والمعتاد، وكان كل هذا قبل وقوع وحدوث حكاية رودريك.

خرج الكسندر للاتصال بمستشفى «كوتيدج»، أما روزالين فقد أخذت معها المدام هاريس لترتيب حقيبة كارمليتا، وهى بنفسها توجهت لإخبار الفتاة بما يحدث ويدور



WWW.REWITY.COM
GEGE86

حولها. وتم اعطائها مهدىء خفيف فأصبحت أكثر هدوءاً عما كانت عليه منذ قليل. إلا أنه، بينما هى تتحدث إلى روزالين، تجهم وعبس وجهها، وتشبثت قبضات يديها بغطاء وملاءات السرير، وصرخت:

— أنا لن أذهب إلى المستشفى. ربما يعود رودريك، وسوف يغضب لماذا لم أتواجد ههنا. وارتفعت حدة صوتها فصارت فى حالة هستيرية. قالت روزالين:

— سوف نتولى جميعنا تدبير هذا الأمر يا كارمليتا. وسوف أحضر معك إلى المستشفى، ومعى الدكتور دالغايش، نحن لانستطيع الابتعاد عنك أيتها الفاتنة.

انفجرت الفتاة فى نوبة من البكاء وفيض الدموع الساخنة صارخة:

— لن أذهب إلى المستشفى! أريد العودة إلى البيت، إلى بلدى.. إلى بابا!

قال الكسندر الذى راح يحاول هو والدكتور روبرتسون جهدهما بتبديد مخاوف وجزع كارمليتا:

— عزيزتى، ليس ثمة مايدعو إلى الخوف. كل ما هنالك هو ضرورة الراحة وإجراء بعض الاختبارات والفحوص الطبية، وهى التى ينبغى اجراؤها فى المستشفى لتخرج بصورة أليق وأدق وأفضل. لابد أن تفكرى من أجل طفلك أيضاً. وأنت تعلمين ذلك.

بعد ذلك بساعة، كان الكسندر قد نظم كل مايرغب فى تنظيمه وتدبيره، وحينما وصلوا أخيراً إلى مستشفى «كوتاتدج موفات» — كانت كارمليتا فى انتظارهم، وأشرفت على إجراءات دخول كارمليتا، وعاونت كارمليتا على الاضطجاع



بهدوء وسلاسة وراحة على سريرها. قالت الأخت نوريس:

— هكذا انتهت المتاعب ياعزيزتى! سوف تستمتعين معنا باقامتك ههنا. وإنى لسعيدة تماماً من أننى قد تعرفت عليك، ولسوف أسهر على راحتك.

أما كارمليتا التى كانت ترقد بهدوء، وقد تبددت الدمعة الحائرة من على عينيها الناعستين: قالت فى شيىء من التشنج والتنهد:

— وماذا عن رودريك؟

أما الكسندر الذى كان واقفاً بالخارج يتبادل أطراف الحديث مع الدكتور روبرتسون، فقد أسرع يهرول داخلاً إلى الحجرة وطبع قبلة حارة دافئة على جبهتها وقال:

— سوف يحضر سريعاً، وسريعاً جداً ياعزيزتى.

ثم غادر المكان وهو يتمتم منزعجاً كما لو كان عاجزاً عن مواجهتها.

ولقد أوضحت المناقشة مع الأخت نوريس ومديرة هيئة الممرضات أن روزالين سوف تكون حرة فى الحضور والمجيىء أو الانصراف دخولاً وخروجاً من المستشفى كلما أحبت ذلك. وقالت الأخت نوريس:

— إنى على يقين من أنك تشعرين بالقلق عليها تماماً مثلنا يا روزالين بينيت. إن الطفل سوف تتم ولادته بأسرع مما نتصور ونعتقد. وربما اضطررنا إلى إجراء جراحة قيصرية، وربما جعلت من الأمور كلها يسراً وسهلة للفتاة المسكينة، التى استبدت بها المخاوف والقلق بشأن زوجها الغائب.

وفى ذات يوم، من الأيام القلائل التى تلت دخول كارمليتا المستشفى، وصل الكسندر بصحبة رفيقه طبيب النساء



WWW.BEWITY.COM
GEGE86

والولادة لفحص الفتاة، وكانت روزالين تنفق يوماً كاملاً من العمل بصحبة الفتاة تساعد وتعاون كلما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. وفيما بعد ذلك، أجروا مؤتمراً طبياً مصغراً فى أحد المكاتب للتداول بشأن المريضة.

كان المستشار الطبى الدكتور دريك ثورن، ذو الشعر الرمادى، طويل القامة، وسريع الاهتياج، إلا أنه طبيب مبرز فى حقل تخصصه، ينظر عبر كومة من الأوراق تبين نتائج الفحوصات الإكلينيكية التى تم إجراؤها على كارمليتا. قال:

ــ دعونا ننظر ونرى. إن فحصاً لضغط الدم فى حالة الحمل يتم اجراؤه يومياً، وبالمثل اختبارات البول، وعينة السوائل... إلخ.

ثم وضع الأوراق جانباً حتى أصبحت متساوية ومرتبة بما فيه الكفاية، وأضاف:

ــ إن الفحوصات والاختبارات الخاصة بوظائف المشيمة، وهى الجزء الخاص بغشاء الجنين الذى يخرج معه عند الولادة، والرسوم الخاصة بجهاز المرسام القلبى الكهربائى، بالاضافة إلى آشعات المسح الفوق صوتية، كلها ثم القيام بها كذلك. لا ريب أن كل شيىء قد تم تغطيته والتيقن منه، إلا أننى لازلت غير سعيد بشأن الموقف، يا دكتور الكسندر، الرأى عندى هو الحصول على موافقة ورضاء المريضة، كأمر ضرورى من أجل القيام باجراء عملية جراحية قيصرية لاخراج الجنين. إن المدام دالغليش من الواضح أنها فى حالة من توتر الأعصاب والاثارة، وأعتبر الآن أن هذه الحالة هى حالة مد حالة الطوارىء، ويتعين ألا نعرض أنفسنا للوقوع فى المزيد من المخاطر. أوما الكسندر برأسه وهو يقر ما قاله «ثورن» قائلاً:



ــ لا استطيع الموافقة على المزيد من الاجراءات. ولا بد لى أن أتوقف انتظاراً للحصول على توقيع أخى، إذ أنه كما تعلم خارج البلاد الآن.

وراح يتبادل النظرات مع روزالين. رفع الطبيب ثورن حاجبه وقال:

ــ هذا أمر مقبول تماماً. سوف نتوجه من فورنا ونخبرها.

ــ هل تعتقد يا «دريك» أننا نستطيع إجراء العملية ههنا فى هذا المستشفى المتواضع، أم يجب الانتقال بها إلى مستشفى ادينبرغ المركزى الكبير.

ــ ليس من الضرورة فعل ذلك.. وإنى لأعلم أنه ليس لدينا الأجهزة الخاصة بالتوليد المتقدمة للغاية مثل جهاز «س. سى. بى. يو» وغيرها من مستلزمات وأجهزة الولادة الأساسية. وبالرغم من كره المريضة للمستشفيات، بوسعنا الانتقال بها إلى مستشفى الولادة فى ادينبرغ فى حالة الطوارىء القصوى، إلا أننى لا أتوقع ذلك على الاطلاق. انها إمرأة ذات صحة جيدة فى المقام الأول.

وفى اليوم التالى، كان مسرح العمليات الجراحية معداً وجاهزاً لاجراء العملية.

وفى أعقاب تبادل بعض الكلمات من كارمليتا التى أخذها النعاس بعد تناول أحد العقاقير الطبية، ارتدى الكسندر وروزالين والأخت نوريس رداء العملياء الأبيض، واغتسلوا تمهيداً لحضور عملية التوليد مع المستر ثورن وإحدى الممرضات اللائى يتعلمن مهنة التمريض. ولقد تقرر ألا يعطوها مخدراً موضعياً، ولكن مخدراً شاملاً، وذلك بالفعل هو ما كان يفعله الطبيب أخصائى التخدير.



WWW.DEWITY.COM
GEGE86

وبمجرد أن فقدت كارمليتا الوعى، تم لف وكساء جسدها بالمناشف الخضراء المعقمة، وفى نفس الوقت كانوا قد أتموا إعداد المحضن وهو جهاز حضانة الطفل أو المولود الجديد، وزودوه بمجموعة أجهزة الإنعاش لرعاية المولود. أما المستر ثورن، فقد ألقى نظرة أخيرة على غرفة العمليات كما لو كان لا يزال يتفحص أن كل شيىء على ما يرام وملائم للمشروع فى العملية الجراحية. وألقت روزالين نظرة على عينى دالغليش فوق القناع الذى ارتداه على وجهه، وهى تتفكر إلى أى مدى تكون عيناه فى حالة تركيز مكثف، خاصة حينما تتجعدان وتصوبان البصر نحو شيىء هام. بعدئذ، سرعان ما استعادت وعيها وانتبهت إلى إجراءات الجراحة.

وشرع المستر ثورن الآن فى أداء عمله كما لو كان ساحراً. ولقد فرك يده مستخدماً أحد المواد الكيماوية المطهرة، ووضعت الأخت نوريس المشرط فيها. ومضى العمل قدماً برشاقة وخفة حركة، وبعد دقائق ظهرت رأس صغيرة داكنة تحت أيدى الطبيب ثور المغلفة بالقفازات. ومسحت الأخت نوريس الفم والأنف والعينين مستخدمة ممسحة معقمة وجذبت المخاط من الأنف والفم. وظهر بعد ذلك كتفا الجنين، وتم قطع الحبل السرى. وشق جدار الصمت صرخة حادة عالية النبرة، وتوالت الصرخات والهدير أكثر فأكثر حينما أخذت الأخت نوريس المولود، .. إنه طفل ذكر صغير لكارمليتا! كان وجه روزالين قلقاً على كارمليتا ومولودها، ولكن تبدد ذلك الآن. ونظرت إلى الكسندر فوجدته ينظر فى ابتهاج وسعادة إلى ابن أخيه المولود حديثاً.

سعدت كارمليتا سعادة قصوى، وابتهجت ابتهاجاً غامراً حينما



لفت نفسها بجوار مولودها الطفل الجديد، بعد ان استعادت وعيها، وعلمت أنها قد اجتازت عملية الولادة بسلام. وسرعان ما قالت:

ـ أما الآن فأين زوجى، أريده الآن ليرى ابنه، وأين أبى.. أبلغوا أبى أنا سعيدة.

وردت روزالين قائلة:

ـ خذى الآن قسطاً من الراحة ولسوف نتولى نحن ابلاغ الأب، ووالدك بكل شيىء.

بدا حينئذ على وجه كارمليتا أسارير إنفراج ملامحها، وصارت خطوط وجهها ـ سلسلة تنم عن اطمئنان ورضاء النفس، واضمحل عنها التوتر والعصبية، وأخذت تغوص فى نعاس أفضى بها إلى النوم المريح.

وعادت روزالين إلى المنزل، وسرعان ما تبعها الكسندر الذى عاد لتوه من جلاسكو. وكانت فى الاستقبال المدام هاريس التى سعدت أيما سعادة بالأخبار المفرحة، وكانت من فورها قد أعدت طعام العشاء، فدعت كلاً من روزالين والكسندر كى يتناولا الطعام بعد يوم حافل بالانجاز والعمل والأنباء السعيدة.

وطلبت روزالين الصعود أولاً أعلى الدرج كى تغتسل وتأخذ حماماً سريعاً، حيث أنها شعرت وعلمت بأن المدام هاريس لم تكن ترغب فى أى تأخير على الطعام فى ذلك المساء احتفالاً بالحدث السعيد.

ولما هبطت الدرج وتوجهت إلى غرفة الطعام، وجدت أن الكسندر كان قد سبقها سلفاً واتخذ مجلسه على سفرة الطعام فى انتظارها، فابتسم ابتسامة غامضة ومبهمة لما رآها، وهو بعد



WWW.REWITY.COM
GEGE86

يحاول النهوض نصف محاولة كى يحييها . وقال :

ـ لقد انصرف أبى إلى المستشفى فى وقت مبكر من أجل رؤية حفيده بمجرد أن سمع بالأخبار السارة ، ثم قرر أن يقضى بقية السهرة مع أحد أصدقائه الحميمين منذ كانا رفيقين فى إبان الحرب العالمية الثانية .

قال اليكسندر وهو يضحك :

ـ وأعتقد أنهما يتسابقان على أيهما يحتسى المقدار الأكبر من الويسكى . وعادة ما يوصل سائق الصديق ، أبى إلى ههنا فى منزلنا ، ولكن بعد منتصف الليل فى مثل هذه المناسبات . وخصوصاً هذه المناسبة !

ـ أن أباك رجل رائع . ولا أستطيع أن أتخيل أن كبر السن سوف يصيبه . أو أنه سوف يعانى من الشيخوخة !

ابتسم الكسندر ، وأخذ يسترخى وينسى همومه منذ أن انخرطا فى الحديث والتسامر ومرور بعض الوقت . قائلاً :

ـ إن أبى اعتاد على العدو كلما استطاع ، وهذا أمر مفروغ منه تماماً . وعلى فكرة ، أعتقد أن المدام هاريس لديها بعض النوايا فى مطاردتنا هذه الليلة أيضاً ، من أجل السهر والتسامر معنا ، ولا أستبعد ذلك اطلاقاً .

أما المدام هاريس فقد ظهر أنها فى عجلة من أمرها ، وعلمت روزالين وهى تحتسى الشوربا المصنوعة فى المنزل أن المرأة قد أصابها القلق منذ أن علمت بالحادث السعيد ، ولقد تزامن ذلك مع دعوة تلقتها للسهر خارج المنزل ، فتضاعفت سعادتها ولكنها كانت تخشى من التأخير عن الموعد .

التفتت المدام هاريس فجأة وقالت :

ـ أيها الدكتور . أتعشم ألا تمانع فى أن أترك الحلوى



والقهوة لكما ، حيث إننى فى عجلة من أمرى هذه الليلة حيث من المقرر أن أخرج على دعوة للسهر اليوم خارج المنزل .

ـ لا مانع أبداً ، يامدام هاريس . هلم أخرجى وإذهبى إلى حيث مكان الدعوة التى تلقيتها .

وبمجرد أن خرجت رن جرس التليفون . فتوجه للرد . ولكن لاحظت روزالين وهو يرد على المكالمة أن وجهه قد عبس وقطب جبينه وأصابه شيىء من القلق والتوتر . صاحت روزالين وهى فى حالة قلق .

هل كارمليتا بخير؟

ـ أجل هى بخير . إنها مكالمة خاصة بى أنا شخصياً .

فاستمرت فى تناول طعامها ، حيث إن تصرفات الكسندر أصبحت عسيرة على الفهم والتفسير .

صاحت روزالين :

هل تعتقد أن كارمليتا والطفل سوف يعودان إلى المنزل خلال أسبوع أو يزيد؟

ثم راحت تكمل تناولها للحلوى . رد قائلاً :

ـ سوف أنظر فى هذا الموضوع حينما يأتى حينه وموعده .

وقال ذلك بأسلوب ينبـو عن الضيق والتذمر حتى أنها نهضت لكى تغادر المكان ، وتحاول أن تسيطر على صوتها ، قالت :

ـ آسفة لأننى ذكرت ذلك أيها الطبيب ! ولكن مدام دالغليش هى المريضة التى أتولى رعايتها ، وأنا موجودة ههنا خصوصاً من أجل العناية بها والسهر على راحتها ، وهى فى هذا المأزق والظروف الصحية التى تستلزم ذلك .

ـ أعلم ذلك كله .. ولكن ..



WWW.REWITY.COM
GEGE86

وسرعان ما دق جرس التليفون مرة ثانية ، فقال :

ـ سوف أرد عليه بنفسي .

انتهزت روزالين الفرصة للانصراف إلى غرفتها ، منذ أن كان واضحاً أن الكسندر لم تكن لديه النية أو الحاجة إليها . ولم تكد تضع قدماً على أسفل الدرج إلا وقد انفتح باب مكتب الكسندر قائلاً :

ـ إنها المستشفى . والسبب المتاعب التي سببتها كارمليتا . لقد أصابتها حالة من الهستيريا مرة ثانية ـ ويجب أن ننصرف إليها !

لم يتحدث أي منهما في السيارة ، ولما وصلا ، قابلتهما الممرضة النوبتجية بنفسها وكانت في حالة من الارتباك والاخفاق قالت :

ـ آسفة ، اضطررت إلى طلبكما ، لقد كانت زوجة أخيك عنيدة ومصممة على أن أكلمكما بالهاتف .

ـ حسناً يا أيتها الأخت ماكدونالد .

وفي الغرفة ، وجدا كارمليتا متأزمة ، جالسة ، ووجهها أحمر غاضب ، وأيديها متشابكة ، والدموع تنهمر من عيونها على وجهها قالت :

ـ إنه رودريك ، لم يأت لزيارتي ! يجب أن أراه الآن ، لمَ لمْ يأت لكي يرى الطفل . لماذا امتنع برغم انكم أبلغتموه بأنه رزق بالمولود الجديد ! لقد اتصل من نيويورك بالهاتف ، لكي يقول لي فحسب إنه سعيد بالحادث السار .

هدأ الكسندر وروزالين كالمعتاد من ثورة كارمليتا وأخذا يجعلانها تهون من شأن وقع المفاجأة عليها ، ذلك أن زوجها رودريك لم يقل لها ولم يخبرها أنه سوف يسافر ، كما أن



الكسندر وروزالين اشتركا سوياً في إخفاء أخبار سفر زوجها عنها .

وكانت كارمليتا محقة في غضبها هذه المرة إذ كيف يتسنى لها التغاضي عن تجاهل زوجها لها في أمر مثل السفر ، ثم كيف أنه قطع هذه المسافة الطويلة في السفر إلى الولايات المتحدة بدون حتى الاتصال بها لإخبارها بأي شيء عن حاله وظروفه .

أما الكسندر فقد أخذته الفجأة هو الآخر ذلك أنه لم يكن يتوقع أبداً أن يكون أخوه رودريك في نيويورك بدون علمه وكان يعتقد أن أخاه لا يخفي عنه شيئاً البتة .

مرت الأيام متثاقلة متباطئة على كارمليتا وهي تنتظر زوجاً لا يعود ، ولكن على الجانب الآخر ، إزداد وزن الطفل المولود حديثاً وأخذ ينمو رويداً رويداً في الوقت الذي ازدادت العلاقات بين روزالين والكسندر وممرضات وأعضاء هيئة العاملين بالمستشفى رسوخاً ونماءً وتطوراً .

وعلى صعيد آخر توطدت العلاقات الشخصية بين روزالين والكسندر ، وطرأ على تلك العلاقة مشاعر جديدة قوامها العلاقات العاطفية التي من الضرورة أن تنشأ بين رجل وإمرأة في مثل هذه الظروف خاصة وقد أتاحت لهما الظروف الانفراد معاً سوياً بدون أي شخص آخر يقطع عليهما خلوتهما في ذلك البيت الكبير العتيد العتيق .



WWW.REWITY.COM
GEGE86

# الفصل الرابع

## شفاه حائرة

اتصلت روزالين عشية ذلك اليوم بأمها تليفونياً، كما اعتادت أن تفعل مرة كل أسبوع. وكان من الواضح أن مدام بينيت تتمتع بالصحة والسعادة حينما تطرق حديثها إلى الشئون المنزلية وأخبار البيت، وبعد وقت غير طويل قالت لروزالين:

ـ لقد كدت أنسى، هل كتبت أختك سرينا خطاباً اليك يا عزيزتي؟

ـ لقد أخبرتك يا أماه، لا أريد أن أعرف ولست بحاجة إلى خطاباتها.

ـ آسفة يا حبيبتي، إنها غلطتي.

ثم تحدثا في بعض الأمور الأخرى حيناً من الزمن اليسير، وبعدها أغلقت روزالينا الإتصال الهاتفي. ووضعت سماعة التليفون ووقفت تميل نحو مكتب الكسندر وهي تحملق غائبة عن الوعي في البساط. وكان قد أباح لها استخدام ذلك التليفون على وجه الخصوص في أي وقت تخفيفاً عليها. أيقظت نفسها من حلم اليقظة التي كانت تستغرق فيها، يؤلمها الطريقة



والأسلوب الذي حادثت أمها به. وألقت عابثة باثنين من طوابع البريد التالفة في سلة المهملات الخاصة بالورق.

ولما صعدت أعلى الدرج حاولت التركيز في التفكير كي تستطيع كتابة بعض الرسائل. وكانت قد تلقت رداً واحداً من إحدى المستشفيات التي خاطبتها وأرسلت إليها طلبات بالعمل والبحث عن وظيفة. والذي أدهشها هو أن المسئولين بتلك المستشفى طلبوا رؤيتها من أجل إجراء مقابلة في غضون شهر واحد فقط. وكانت تقيم في منطقة شمال ويلز، وعلى الرغم من أنها كانت تطل على الساحل ومنعزلة بعض الشيء، إلا أنها مخصصة لوظيفة ممرضة نساء وقبالة (ولادة)، وهو الشيء الذي كانت تحلم به منذ اليوم الأول الذي بدأت فيه التدريب على ذلك النوع من التخصص. والآن بوسعها على الأقل أن تشبع هذا الحلم. وأرادت أن تكتب إقراراً واخطاراً، ولكنها علمت في البداية أنها بحاجة إلى إشارة تعزيز وتزكية من الكسندر تضاف إلى تزكيات الأطباء الآخرين الذين سوف يوقعون لها على الخطاب.

ارتدت روزالين البلوزة ذات الثنيات وسويتر ناعم مصنوع من وبر ونسيج ماعز أنقرة، من نفس اللون الذهبي، والآن وقد انتهت من تمشيط شعرها وأرسلته يتهدل على كتفيها، صممت على أن تكون هذه الليلة هي الموعد الذي تتأكد فيه مما إذا كانت تستطيع الحصول على الخطاب المطلوب أم لا. وحينما هبطت أسفل الدرج، كان الكولونيل دالغليش يمشي ببطء عبر الصالة. ولما رآها رمقها بنظرة باسمة قائلاً:

ـ مرحباً يا عزيزتي! لقد كنت أتوق شغوفاً برؤية حفيدي الصغير الأول، الجميل، ما رأيك؟



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ـ أجل. إنه صبي صغير ووسيم يمتلىء صحة وجمالاً، ويتعين عليك أن تكون فخوراً به.

ـ أنا فعلاً فخور به يقيناً. ولسوف يكون أمراً طيباً وعظيماً أن يصلا إلى البيت كلاهما الأم وطفلها في القريب العاجل.

ومضى يمشي بخيلاء في خط مستقيم نحو غرفة الجلوس، حيث يشاهد نشرة أخبار هيئة الاذاعة البريطانية (بي.بي.سي) للساعة التاسعة مساء على شاشة التليفزيون وهي عادة أضحت طقساً من طقوس المساء والسهرة في ذلك البيت العتيق.

لم يكن الكسندر دالغليش في المكتبة كما توقعت روزالين، فاستنتجت أنه لابد متواجداً في مكتبه. وكان الباب مصرعاً نصفه مغلق والنصف الآخر مفتوحاً، وكان هنالك الكسندر، وهو منكفىء برأسه الداكنة على مكتبه ومستغرقاً في لصق طابع على مظروف مكتوب عليه عنوان ما، وهو بعد يشذب حواف الطابع في سلاسة وعناية، ويبصم في النهاية عليها باصبعه الإبهام. قرعت روزالين الباب. قال الكسندر وهو يلقي بالطابع والمظروف جانباً، وينظر من وراء كتفه:

ـ تفضلي بالدخول.

ـ هل بامكاني الحديث معك قليلاً يا الكسندر؟

ـ بالطبع، اجلسي واستريحي. وسوف أغلق الباب. هل ثمة مشكلات؟ لم يحدث شيىء في المستشفى منذ رأيتك هذه الظهيرة، آمل ألا يكون ثمة شيىء يعكر صفوك.

ـ كل شيىء على مايرام، وكل ما هنالك أنني أتساءل إن كنت تسمح بإعطائي خطاب تزكية، حتى ألحقه بالسيرة الذاتية لي وأرسله إلى احدى المستشفيات للعمل؟ إذ أنني قد



تلقيت من المستشفى خطاباً يخبرني بالحضور لإجراء مقابلة في غضون فترة أسابيع أربعة.

سقط قلب روزالين حينما وجدت أن مزاجه المرح قد انقلب إلى عبوس.

ـ متى سوف تبدأ هذه الوظيفة بالفعل إذا تم منحها لك؟

ـ ليس قبل حلول العام الجديد. وأعرف أنني لم أمضي مدة طويلة هنا، ولكنني لم أعلم أنهم سوف يردون على رسالتي بهذه السرعة.

ـ ولذلك بالرغم من مناقشاتنا في اليوم الماضي، إلا أنك ت تخططين من وراء ظهري لمغادرتنا بطريقة أو بأخرى؟

ـ هذا ليس صحيحاً. كل ما أفعله في هذه اللحظة هو أنني أعمل في وظيفة مؤقتة، وبالتالي كتبت أطلب العمل في عدة وظائف دائمة، وهي التي تقلصت الآن إلى اثنتين فقط. يجب عليك أن تعلم أن العثور على الوظائف صار أمراً عسيراً الآن وتعد بمثابة الكنز أو الجائزة الكبرى إذا اجتاز المرء المقابلة.

ولقد تحول لون عيون روزالين من اللون الرمادي إلى اللون الأخضر، وهي مليئة بالشرر المتقد منها بين شعرها ذي اللون الأحمر الداكن اللامع. أما وجنتاها فقد كانتا ملتهبتين، حتى أن حدة الغضب قد غيرت ملامح وجهها تماماً وصارت هاتان الوجنتان بارزتين في موجة الحنق التي اجتاحها.

بدا الكسندر غير متأثر بالتقريع الطويل الذي صبته عليه قائلاً:

ـ ومع ذلك لم تعطيني الفرصة لتقييم أية احتمالات مستقبلية بحيث آخذها في الاعتبار بشأنك. إلا أنه، في ظل اقتراب حصولك على هذه الوظيفة الوشيكة ليس هناك مبرر



WWW.REWITY.COM
GEGE86

لاعطائك ما طلبت !

تأثرت روزالين من ذلك الظلم وغلظة الكسندر، قالت :

ـ أشكرك على أية حال !

ثم انطلقت كالعاصفة تصعد أعلى الدرج مقتحمة غرفتها، وأضحى جسمها أزرق شاحباً من جراء الحزى الذى أصابها من رفضه. إن هذا الرجل لهو..... وكذا..... ولم تلبث حتى رن جرس التليفون الفرعى بجوار فراشها فنزعت السماعة، تقول : نعم ؟ سمعت أليكسندر يرد قائلاً :

ـ ثمة مكالمة من الخارج لك. هل بمقدورك أن تدعى جانباً فورة غضبك وراء ظهرك لحظة من الوقت ؟

ـ حسناً.

ـ مرحباً بك يا روزالين. قالت : من المتحدث ؟

ـ سرينا.

ـ ليس لدينا ما نتكلم بشأنه يا سرينا، أنا مشغولة. أرجوك يا روزالين لا تغلقى الهاتف. أريد التحدث إليك ضرورياً.

ـ آسفة يا سرينا. أنا مشغولة جداً.

ثم وضعت سماعة الهاتف بشدة، وهى تحاول تجاهل بشرة القلق الحقيقية فى صوت أختها. إذ كانت أفكارها تجعلها تتقلب فى فراشها وتتمايل، فأصبحت فى اليوم التالى وقد تقرحت جفونها وأصاب اللون البنفسجى المنطقة تحت عيونها بالظلال القاتمة.

وفى المستشفى، كان الشيىء الطيب الوحيد هو التحسن اليومى لكارمليتا. لقد أصبحت الآن تستخدم كرسياً متحركاً كى تتجول به فى طرقات وغرف المستشفى وتتحدث مع المرضى



الآخرين، وخصوصاً الممرضات صغيرات السن فى حجرة حضانة الطفل الصغير، حيث كانت روزالين تدرس لها كيفية الإمساك بالطفل وقت الحموم والاستحمام. كانت عينا الفتاة لامعتين حينما كانت تراقب روزالين وهى تخلع ملابس ابنها ثم تغلفه فى منشفة ناعمة ودافئة. قالت لكارمليتا :

ـ عليك أولاً بغسل وجهه وشعر رأسه. ومسح أنفه نحو الخارج بمنشفة. أغسلى وجهه وجففيه أولاً بعناية. ثم تضعى مجمل جسمه بلطف تحت إحدى ذراعيك، واسندى رأسه كى تغسلين بالشامبو. انها طريقة بسيطة للغاية ـ كل ما هنالك أن تمسكى به بحزم، هذا هو كل ما تحتاجه.

ثم قاما بتنفيذ الاجراءات، وأول ما انتهت، وضعت كارمليتا ثوباً صغيراً على الجسد الضئيل القوى، وناولته مرة ثانية إلى روزالين من أجل تثبيت حفاض الطفل. وما أن تم الانتهاء من كل ذلك، تركت كارمليتا تحتضن الطفل الضئيل النعسان ذا الرائحة بين ذراعيها. قالت روزالين :

ـ هذا كل ما يحتاج إليه من الراحة والاطمئنان الآن !

وقد أراح من أعصابها المشدودة الهدوء والوداعة التى اتصفت بها الأم ووليدها وبعث عليها بالراحة والابتسامة.

وأعدت روزالين الفراش لها كى تأخذ قسطاً من الراحة فى تلك الظهيرة وسط الحجرة التى ملأتها الزهور وباقات الورود.

وفى نفس تلك الظروف تلقت كارمليتا خطاباً من زوجها رودريك يخبرها فيه بأنه قادم إلى مشاهدة الطفل، ولكنه لم يذكر متى سيعود. وكانت كارمليتا من حين لآخر تقرأ ذلك الخطاب وتعيد قراءته المرة تلو الأخرى، وفى احدى المرات لاحظت روزالين دموعها تتساقط بينما هى تقرأ الخطاب فقالت



WWW.REWITY.COM
GEGE86

لها :

ـ كارمليتا يا عزيزتى أعتقد أنه من الأفضل أن تعودى إلى بيتك «فالكون هول» من فورك. حيث سيكون أمامك المزيد من الأعمال كى تنجزيها من أجل ابنك الصغير، وحينذاك سوف يتبدد الوقت ويطير، وسوف يعود زوجك سريعاً دون أن تشعرى بتأخيره.

ـ سوف أفعل ذلك يا روزالين فأنت على حق. ان المريلة التى ترتديها تجعلنى أنسى زوجى ببعض الشيىء! ولسوف نتحدث عن الكثير من الأشياء حينما أعود إلى المنزل. خاصة وأننى قد تحسنت كثيراً فى اللغة وأصبحت أتحدث بطلاقة. أليس كذلك.

وفى اليوم التالى دخل المستر ثورن وأمين السجل غرفة كارمليتا، وكانا قد عادا لتوهما من أجازتهما الأسبوعية، وكانت بصحبتهما الأخت نوريس وحضور روزالين. وأكمل أخصائى أمراض النساء والولادة الفحص الطبى والكشف. قال :

ـ حسناً، تلك الغرز يتم فكها غداً. وبوسعك أن تعودى إلى المنزل يا مدام دالغليش فى اليوم التالى ومعك روزالين، بشرط أن تتناولوا الأمور ببساطة ويسر، أيها المرأة الصغيرة.

ـ أشكرك. أنا هكذا سعيدة للغاية يا مستر ثورن. أنت عطوف وطيب القلب.

تأثر المستر ثورن بسرعة للعيون الواسعة التى تذوب رقة، وأخذ يربت على يدها ويقول :

ـ العفو، يا عزيزتى. ومن دواعى سرورى أن أراك تبدين فى حالة حسنة وطيبة.

وما أن هما بالانصراف حتى دخل الكسندر دالغليش



عليهم مقتحماً وهو فى حالة من السرعة والاضطراب، وقد عبثت الرياح بشر رأسه، أما چاكيت البدلة فقد تطاير فى الهواء وهو يهرول بالدخول عليهم مسرعاً ويقول :

ـ أقدم اعتذاراتى اليكم يا سادة، كنت أعتزم القدوم إليكم ولكن التليفون أتانى بما لا أشتهى وأخرنى عنكم بلقاء آخر.

ـ لا بأس عليك يا الكسندر. لقد سرتنى حالة مدام دالغليش وبوسعها الانصراف غداً.

قالت روزالين :

ـ أنتم جميعكم مدعوون على حفل شاى لدينا بمناسبة الخروج.

انتقلت كارمليتا وطفلها إلى «فالكون هول» بيت عائلة زوجها وودعت المستشفى التى ولدت فيها لأول مرة ورزقت فيها بطفل ذكر. ومرت أيام على روزالين التى وجدت نفسها تتورط سريعاً فى شئون عائلة دالغليش، وبدت كما لو عزفت أذنيها فى اهتمامها بهم حتى انصهرت شخصيتها وهويتها فى هوياتهم. وهى لم تكن لتهتم أو تحفل بذلك على الاطلاق، إلا أنها وإلى حد ما أصبحت منفعتها ذات قدر ضئيل، وتناهت منها أوجه النفع والضرورة. ذلك أن كارمليتا لم تعد المريض الذاوى الذابل الذى يحتاج إلى مثل هذا القدر من الإهتمام منذ ولدت الطفل، وكان واضحاً أنها تريد أن تفعل معظم الأشياء لإبنها.

وألفت روزالين أنه بقدر ما تهتم باقتراب موعد مقابلتها مع مستشفى «تورث ويلز»، كلما كان ذلك أفضل. على الرغم من الغصة، وطعنة العصبية التى تشك معدتها حينما تتذكر أنها



WWW.BWITY.COM
GEGE86

لاتزال فى حاجة إلى الحصول على خطاب تزكية من الكسندر كأمر ضرورى. وعلمت أنها لابد أن تقرر ابتلاع كبريائها وتعتذر عن الأسلوب الذى صعدته فى المرة السالفة. وعلى أية حال، يحتوى رأس الكسندر على الكثير من الأمور، وهو ليس بالتأكيد متوقعاً أن يتفهم مشكلاتها على الاطلاق.

وحينما دخلت روزالين المطبخ، كانت المدام هاريس تعد كعك الفراولة الاسفنجى الفيكتورى وهو ضرب من الحلوى الانجليزية على وعاء من أدوات المائدة الفضية ثم أضافته إلى صينية الشاى. وما أن رأتها حتى صاحت:

ــ مرحباً بك يا فتاتى الحبيبة. لقد وصلت تواً فى الموعد الملائم تماماً! لقد كان المستر الكسندر يبحث عنك، كما لو كان سوف يفعل شيئاً لاغنى عنك فى الاشتراك فيه. ولسوف آخذ هذه الصينية إليه، ثم يوسعنا أن نتناول الشاى الخاص بنا فى المطبخ سوياً.

وحينما عادت المسز هاريس بدا عليها الشعور بالاحباط قائلة:

ــ إن الكسندر يتساءل لو أنك استطعت الانضمام إليه فى المكتب الخاص به أم لا؟

ــ حسناً. سأفعل، أشكرك يا مدام هاريس، برغم أن ذلك ينذر بالسوء.

وذهبت إلى المرحاض، فغسلت أيديها، وهذبت من تلافيف شعرها المتجعدة التى لم تعرف أبداً مكانها الصحيح، وأصلحت من شأن فستانها وملابسها وأقسمت أن تحتفظ بهدوئها ونضارتها.

وفى مكتب الكسندر، كان الشاى قد أعد لفردين على



منضدة منخفضة أمام النار الصادرة من المدفأة. أصدر الكسندر علامة من علامات الرضا، متصنعاً الابتسامة، قال:

ــ هلا تفضلى بصب الشاى يا روزالين؟

ــ بكل تأكيد.

قالت ذلك وهى تكاد أن تكون خائفة، على الرغم من أن الخضوع لم يكن أبداً فى حقيقة الأمر من طبيعتها. وكانت تدرك أن الكسندر يركز عينيه عليها، وهى تقدم إليه الكأس. قالت:

ــ يا الكسندر! قبل أن تقول أى شيىء، أريد أن أعتذر عن الاسلوب الذى انتهجته بالأمس. ذلك أننى لم أكن فى حالة طبيعية. وانتابتنى مشاعر غريبة عدوانية ليست من طبيعتى فى شيىء، فأرجو الأخذ بذلك فى الاعتبار. خاصة وأن كارمليتا قد وضعت مولودها، وأنا بصدد البحث عن عمل جديد، وأتوخى الحرص فى ذلك والحصول على تزكية منك، كما أننى لست أعلم المستقبل الذى ينتظرنى.

كان الكسندر يلاطف الكلب «برنس» بأحد يديه، فأصدر تنهيدة عميقة وصاح:

ــ أعرف ماذا تقصدين يا روزالين. ويقع على عاتقى بعض الوم. وأنت دائماً تتصرفين بعصبية. وأنا أفهم خططك المستقبلية بأسلوب خاطىء. لقد كنت مخطئاً وجانبنى الصواب تماماً. وأنا أتفهم الأمور الآن. إذن دعينا ننسى كل شيىء. فهل سوف تفعلين معى؟

جعلت ابتسامته الرقيقة من روزالين عجينة طبيعية بين يديه. قالت روزالين:

ــ أشكرك. سنفعل ذلك سوياً. إذن هل سوف تعطينى خطاب التزكية الذى طلبته من أجل إدراجه فى ملفى؟ أنا



WWW.NEWITY.COM
GEGE86

لا أستطيع أن أترك الفرصة تضيع.

ـ كلا بالطبع. سوف أكتب لك مذكرة تجعلك تحصلين على الوظيفة بكل يسر. ولكن ما رأيك لو أننى دعوتك على الرقص فى احدى الحفلات خارج المنزل للسمر والعشاء؟

ـ بكل سرور، أرحب تماماً، وأحب ذلك، ولكن من فضلك أرجوك ألا تشعر بأنك مضطر لذلك من أجل تطييب خاطرى؟

ـ إذن فلنلتقى فى تمام الساعة السابعة.

التقت روزالين بالكسندر وصعد السيارة وانطلقا عبر المساء الشاحب ويتكبد السماء ذلك القمر الذى يرسل بأشعته عبر الأفق متلألئة وذات بريق واهى. كانت روزالين التى جلست بجوار الكسندر فى السيارة تحاول تفسير التعبير الذى كان فى عينيه حينما هبطت أسفل الدرج وترتدى حلتها المخملية الخضراء الداكنة. حينذاك لم يقل شيئاً، بل كل ما فعل هو أن ابتسم ابتسامة غامضة، وساورها الاحساس بأنه استحسن ما رآه.

أما موسيقى موزار وشوبان وفرانز ليست التى تفضلها وتعشقها فقد أضفت على السهرة هالة من السعادة ترقى إلى الاحساس بالأعياد واحتفالاتها. كما كان الكسندر سعيداً للغاية بالاستماع إلى أولئك المؤلفين الموسيقيين العظماء وكان يقص عليها قصة حب وحياة موزار المضطربة، وقت أن خرجا إلى الفندق الهادىء فى ضواحى جلاسكو. قال:

ـ ما رأيك فى السهرة والعشاء؟

ـ رائع!

ـ حسناً، فأنا لا أريد ممرضة جائعة بين يدى، برغم حلوى مدام هاريس!



كانت غرفة الطعام بالفندق هادئة وسارة، والموسيقى مسموعة فى خلفيات وأروقة الفندق بدون ضوضاء أو أزعاج. وكانت المنضدة الخاصة بهما منعزلة بعض الشيىء. خلعت روزالين الچاكيت الخاص بها وكذا القماش اللامع للبلوزة الحريرية العاجية التى تغطى بشرة جلد صدرها المتوهج، مما أدى إلى سحر الرجل الجالس قبالتها، حين قال بهدوء:

ـ أرى أنك قد استمتعتى الليلة للغاية يا روزالين.

ـ إلى أقصى الحدود، لقد مرت سنون طويلة منذ أول مرة أحضر فيها مثل هذا الكونشرتو والحفل الرائع!

وتبادلا أطراف الحديث حول الطعام. وارتشفت روزالين الخمر التى اختارها الكسندر بعناية، وقدم لهما الجارسون القهوة، وتركهما يستمتعان بقية السهرة. ولم تترك روزالين فرصة أثناء الحديث إلا وأشادت بحسن اختيار وتدبير الكسندر لهذه السهرة الرائعة.

ولما تطرق الحديث إلى قسوة رودريك على كارمليتا، سرعان ما قالت روزالين تخاطب الكسندر:

ـ كم كان المرء منا يتمادى فى قسوته على من يعاشر أحياناً.

ـ هناك أنواع من القسوة والاساءة، بعضها ندرك أننا نحدثه بأنفسنا على بعض من يعيشون معنا.

ـ هل تستطيع أن تذكر لىّ مثلاً على وجه الخصوص؟

حينذاك ترك الكسندر قوته جانباً، وهو بعد يتفكر ويتدبر قائلاً:

ـ ربما كنت أبالغ، ولكننى أشعر أننى أسبب لكارمليتا بعض الشيىء من الاساءة أو ربما كان نوعاً من أنواع القسوة.





WWW.REWITY.COM
GEGE86

ذلك أننى أعرف الكثير مما لا تعرف هى عن زوجها وعن غيابه، وحتى الآن لا أجد الشجاعة الكافية، ولا يطاوعنى قلبى على الافشاء لها بالحقائق كما أعرفها أنا. إنها إساءة عقلية، وحتى الآن ومهما يكن لا يزال ولائى لأختى أمراً أساسياً.

ـ أجل، أشعر بنفس مشاعرك. ربما لا يمر وقت طويل على عودته. أعتقد أنك لم تسمع شيئاً جديداً عن عودته، أليس كذلك؟

ـ كلا، إن أبى لا يفتأ يسألنى نفس السؤال. ويبدو أن الأمور ترتبك وتتعقد حتى أنها صارت تشكل قلقاً ومصدراً للانزعاج، ومع ذلك ليس من بيننا من يستطيع أن يساعد أو يعاون الآخرين.

ـ إن الأقارب من الدرجة الأولى يستطيعون أن يصبحوا ذوى عون والتزام عظيم.

ـ فى الواقع هذه حقيقة. ذلك أن الدم لا يزال برابطته الأقوى، وأنت تعلمين أن هذا أمر حتمى لأن أختك تسبب لك بعض المتاعب.

ـ أجل، وهذا أمر يدعو إلى الرثاء، حيث إننا كلاً منا لا يعطى لنفس الأشياء حجمها الصحيح. لقد كنت ذات علاقة مع أحد الأطباء فى المستشفى القديم الذى كنت أعمل فيه. وتوطدت العلاقة حتى أنها كانت تتجه لتصبح زيجة.

ـ ففى احدى المناسبات فى منزل أبوينا، قدمته إلى سيرينا، وكانت الغلطة القاتلة. ذلك أنها حيناً من الزمن كانا يلتقيان فى شقتى حينما أكون خارجاً فى العمل.

وابتسمت ابتسامة ساخرة، واستطردت تقول:

ـ إننى واثقة من أنك لا تريد سماع التفاصيل القذرة، أو



ربما استطعنا ان نضيف ذلك إلى شكل آخر من أشكال الإساءة.

أدى تفهم الكسندر لما تقصه روزالين إلى انفراج أسارير وجهه، وسرعان ما قال:

ـ أنا متعاطف معك، والعزاء الوحيد لك، هو أن الحادث الذى محوره أختك قد انتهى بما له وما عليه ـ ولقد قضيت أنت بهذا على ذلك الانحو، ولست ألومك. أما القلق الذى يساورنى حول رورديك فقد انتهى بلا رجعة.

ـ ليس ذلك بمثل هذا السوء الذى تفتقده.

ابتسم الكسندر ابتسامته الأنيقة المعهودة، تاركاً روزالين تتفكر ملياً كما اعتادت أن تفعل، قالت:

ـ دعنا نتناول المزيد من الخمر، ولنغرق أحزاننا فى بحور المجهول.

وداخل السيارة أثناء رحلة العودة، كان ثمة شعور بالصداقة يربط بينهما الآن ولم يكن ذلك الشعور بحاجة إلى الحديث الممل. وما أن غادروا منطقة جلاسكو، قال الكسندر متدبراً:

ـ أخشى أن تقومى بعمل مثل هذه السهرة مرة أخرى مع أى إنسان آخر غيرى.

وبمجرد أن اقتربا من المنزل، سرعان ما استعاد الكسندر الطبيعة الرسمية للعلاقات البروتوكولية التى تربط بينهما إلى أصلها المعتاد، وكذلك الحواجز. التفت إليها خارج «فالكون هول»، وهو يوقف السيارة، حيث اختلطت ملامح وخطوط وجهه المشوقة السارة بالظلال الفضية. وكان الشعور بالغيرة عليها لا يزال يداعبه خشية أن تقع فى حب أى إنسان آخر. قال:



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ـ أشكرك يا روزالين على هذه السهرة.

ثم انحنى نحوها، وإذا بأريج عطور الكولونيا التى يستخدمها تعبق الحيز الذى يضمهما، حينذاك توقف الكون. وارتشفت شفتاه شفتيها، مثيرة، جذابة، وفاتنة، ومعذبة إلى حد بعيد.

أخفق بالنبض فيها الجميل بمجرد الاتصال، ووضع الكسندر يده إلى ذقنها يجذبها إليه أقرب فأقرب كما لو كان يستشعر أفكارها. فتلاقت شفاههما مرة ثانية بدون تردد وبجرأة أكبر، مما أدى إلى طرب أحاسيسها ومشاعرها وجعل قلبها يخفق خفقات حب طارئة. ثم تحرك عنها بلطف ضاحكاً ضحكة صغيرة، وكان صوته العميق الجذاب لا يزال يحمل بين طياته رعشة إضافية، قال:

ـ لا أظن أن أحداً فى الطيقة يحسدنى على هذا!

وهبط من السيارة وفتح لها الباب قائلاً:

ـ طاب مساؤك يا روزالين، أهنأى بالنوم، ولنتقابل غداً.

ولما صعدت أعلى الدرج، كانت روزالين لا تزال فى حيرة من أمرها عن ردود أفعالها. واستنفذها ذلك تماماً. وكانت غير ناعسة بحيث إنها لم يداعب جفونها النوم حتى تتوجه إلى الفراش مباشرة، ولذلك فقد أخذت حماماً دافئاً، وهى تحاول أن تستعيد فقرات السهرة. ولم يكن يقلقها أن الكسندر قد قبّلها وهو يقول لها طاب مساؤك، ولكن الذى أزعجها هو استجابتها له.

وحالت روزالين وقتاً قصيراً أن تقرأ أحد الكتب ذات الغلاف الورقى الخفيف، ولكنها ألفت نفسها مضطرة لأن تنبذه جانباً بسبب سيطرة أفكارها عليها، ورقدت برهة من الزمن تنظر إلى ضوء القمر عبر الستائر المفتوحة، بينما هى تلمس برقة وحنان شفتيها بأصابعها. فهل قبلها بحق الكسندر دالغليش؟



إن ذلك لا يمكن أن يكون محض خيال.. إذن أهى تحلم أم أن الخيال اختلط بالواقع.. أم ماذا؟!



WWW.REWITY.COM
GEGE86

## الفصل الخامس

# خطاب التزكية

كانت كارمليتا نائمة فى تلك الظهيرة حينما جاءتها هدايا كثيرة من أبيها. وكانت باقات الزهور قد حوّلت غرفتها أصلاً إلى بستان غالى وثمين، بما فى ذلك الباقة التى أرسل بها رودريك. وضعت روزالين الزهور والورود اليانعة فى أغلفتها الذهبية ذات الشرائط اللامعة عند موضع قدم فراش كارمليتا حتى تكون أول وأجل شيىء تقع عليها أعينها حينما تستيقظ من النوم، ثم غادرت الغرفة.

أما فى محضن الطفل الصغير، فقد تفقدت المولود فوجدته أيضاً نائماً. لم يكن عسيراً عليه أن يخمن أيهما هى الأم، وكان شعره الأسود الكثيف لامعاً ورائعاً. أما بشرته وجلده فقد كان بلون الزيتون القرمزى الناعم وفه كمهد الزهرة، وأحست روزالين بأنها قلقة على عودة رودريك ذلك الرجل القاسى إلى زوجته. إذ أن غيابه المستمر كان بمثابة مصدر إزعاج لكل أفراد عائلة دالغليش، وعلى الرغم من أنهم كانوا نادراً ما يتحدثون عنه فى غياب كارمليتا، إلا أنهم جميعاً كانوا فى الصمت



مشغولين بأمره على نحو دائب.

بدأت روزالين المهام اليومية فى التعامل مع الورود التى أتى بها طوفان الزائرين الذين وفدوا عليهم فى تلك الظهيرة. وظهرت الممرضة مارى هويز فجأة، وهى لا تزال تتمتع بجسمها الرّيان الممتلىء الجميل، وقد تصدت من الباب الرئيسى نحو الدولاب الذى اكتظ بباقات الورود. قالت تخاطب روزالين:

ــ كيف حال مريضتك اليوم يا روزالين؟ لم يكن لدى الفرصة للحديث معك فى الفترة الأخيرة.

ــ بخير، لقد تم فك الغرز هذا الصباح.

ــ إذن فالفضل يرجع إليك أيتها الزميلة.

ــ أشكرك، ولكم أنتم أيضاً فضل غير منكور.

ــ كنت أود أن أعرف ما الذى حدث لزوجها. هل تعلمين؟

حينذاك فوجئت روزالين مفاجأت كالصاعقة، قالت:

ــ ليست لدى أية فكرة.

أصرت مارى على موقفها، وأضافت:

ــ إن السبب فى سؤالى هو أن المدام دالغليش قالت لىّ أن زوجها يعمل فى بنك ميدلاندز، وأخبرت حينذاك أحد أقاربى عنها وعن خلفيتها العائلية الثرية، وقال لىّ هل لها علاقة بسمسار الأسهم المالية الذى ترددت عنه الأقاويل. والذى قرأ عنه فى الصحف المحلية أم لا. إنه من برمنجهام، وأمه ترسل إليه بالصحف كل أسبوع. وساعتها انفجرت ضاحكة، إذ ليس معقولاً أن يحدث ذلك له، أليس كذلك؟

ــ أشك فى أن يكون هو يا مارى. إذ هناك كثير من الأشخاص فى اسكتلندا يدعون «دالغليش» تماماً كما أن هناك الكثيرين الذين يدعون «چونز» فى ويلز!



WWW.DEWTY.COM
GEGE86

ـ أجل، أعتقد أنك على صواب. لقد حسبت أن حديثنا عنه سوف يجلب بعض الاثارة على حياتنا الرتيبة المملة.

ثم ضحكت مارى وهى تمضى عبر الباب فى طريقها إلى غايتها.

احتدمت حدة غضب وحنق روزالين تحت سائر من لصمت. ماهى مصلحة مارى هوبز فى ترويج الاشاعات الأقاويل والقيل والقال من هنا وهناك! وظنت أنها لو كانت عضواً أساسياً بين هيئة التمريض فى المستشفى لكانت قد طلبت من كبيرة الحكيمات المدام هيلارى نوريس أن تعطى مارى درساً لاتنساه. ذلك أن الناس يأتون إلى المستشفيات من أجل علاج دائهم وأمراضهم وتضميد جراحهم وليس لكى تتعرض مشكلاتهم وحياتهم الشخصية للفضائح. ثم أمضت روزالين بقية الظهيرة وهى تنفعل بالأرق والقلق من جراء ذلك الذى حدث. وعزمت على ألا تسمح لمارى أن تخاطب كارمليتا مباشرة فى موضوع الأقاويل المثارة بشأن زوجها.

ولما واتت الفرصة روزالين شكت مارى إلى المستر ويليام روبرتسون مدير هيئة الممرضات فى صباح اليوم التالى مباشرة، وأخبرته بأن الممرضة تخوض فى أعراض الناس، وأن ذلك أمر لايليق وقد سبب آلامها كثيراً، وطلبت منه اتخاذ إجراء ضدها. وكان رده أنه يعلم، وأنه كان قد وصلته شكوى مرتين منها، ولكنه لم يشأ أن يوجه لها لفتاً للنظر أو التحذير.

كان المستر ويليام روبرتسون قد وجه الدعوة إلى روزالين للعشاء خارج المنزل، غير أن الظروف جعلت الكسندر دالغليش يقوم بتنفيذ الدعوة بدلاً منه، وحينما تطرق الحديث بين روزالين وروبرتسون بشأن الدعوة، قال روبرتسون:



ـ هل استمتعت بقضاء السهرة مع الكسندر؟ لقد اتصل بى هاتفياً هذا الصباح ليشكرنى وأخبرنى بأنه قد خرج معك. ولقد كنت سعيداً بذلك ـ إذ كنت أعرف شغفك بالخروج.

ـ كانت دعوة لتناول العشاء، فأشكرك يا ويليام، وآسفة أننى افتقدتك.

ـ لا داعى للأسف، إذ سيكون هناك المزيد من الدعوات فى المستقبل. وكل ماهنالك من الاختلاف هو أنك سوف تأتين معى فى المرة القادمة!

ـ وأنا يسعدنى ذلك.

ـ ولسوف أحقق لك تلك السعادة! شكراً جزيلاً يا روزالين، والآن ودعاً!

فيما بعد ذلك عنّ لروزالين أن تقوم بشراء بعض الاحتياجات من مدينة موفات، حيث كانت ظروف الوقت المبكر تبيح لها ذلك. ركنت السيارة وهى تدقق النظر فى مركز المدينة الذى تسيطر عليه وعلى شوارعه الرئيسية محلات كوليفن فونتين الشهيرة التى تشمل التجارة فى الأصواف والأقمشة. وساورتها الآمال بأنها فى حاجة إلى زيارة تلك المدينة التى تحتوى على المتاحف الوادعة الهادئة وأماكن ركن السيارات الآمنة. وفى اليوم التانى اهتمت روزالين برعاية وتمريض الطفل فى المنزل فى الوقت الذى انخرطت كارمليتا فى حديث لاينقطع ولا ينتهى طوال النهار. أما الكولونيل دالغليش والمسز هاريس ودوغال فقد كانوا ينتظرون الطفل لكى يدللوه فى ظهيرة ذلك اليوم. ولما واتت الفرصة الكولونيل احتضن الطفل الحفيد وطبع على جبينه قبلة حانية، قبل أن تأخذه روزالين مرة ثانية أعلى الدرج للسهر على راحته ولكى ينعم بقسط من النوم



GEGE86

فى فراش المهد الخاص به المرصع بالجواهر والساتان، وهو الذى اشتراه خصيصاً الكولونيل دانغليش لحفيده الأول.

ولما خلت الصالة الرئيسية من كل أفراد العائلة ومن العاملين فى المنزل الكبير، واتت الكسندر الفرصة لكى يستدعى روزالين إلى مكتبه، فاستدعاها وكان فى أبهى حلة وأنصع الثياب، إذ ارتدى بذلته الرمادية وقميصاً مقلماً وسائر لوازم الشياكة والأبهة.

قال الكسندر:

ــ هل تأتين إلى المكتب مشكورة خلال ربع ساعة من الآن يا روزالين؟

ــ أجل، سوف آتى بعد أن أتفقد حال الطفل والتأكد من أنه نائم.

وحينما صعدت أعلى الدرج كانت مدركة للرابطة الجديدة التى جمعت بينها منذ الليلة الأولى التى سهرا فيها مع الكونشتريو، بصرف النظر عن القبلة التى تبادلاها معاً فى نصف الليل، والتى تعدت كل الحدود وتجاوزت الأمور العادية. وظنت أنه يستدعيها لمناقشتها فى بعض الأمور التى يهتم بها كلاهما بشأن كارمليتا، ولقد صدق حدسها حينما اكتشفت صحة ذلك وقت أن لحقت بالكسندر فى مكتبه. إذ كان يدير لها ظهره، وهو ينظر عبر الحديقة وقت دخولها، وكان الغسق يلف فى طياته معالم الخريف الطبيعية الرائعة والخلابة الجمال. استدار وهو يبتسم ابتسامة متوسطة، وصاح.

ــ ادخلى واجلسى يا روزالين. أريد محادثتك بشأن الفكرة التى أثارتها أمامى الأخت نوريس الممرضة فى المستشفى، وهى قضاء شطر من وقتك فى العمل بصفة منتظمة فى المستشفى.



إذ أنها تبدو لىّ فكرة رائعة. ويعلم الله أننا لم نتأكد قط ذات يوم من أن كامل هيئة التمريض سوف تكون متواجدة بالمستشفى أم لا. ولكن بصراحة، أفضل أن تقضى الأسبوع التالى أو أسبوعين فى داخل البيت للسهر على صحة الطفل والأم كارمليتا والتأكد من أن صحتها على ما يرام. بعبارة أخرى، لا أحب أن أراك فى المستشفى فى الوقت الذى تحتم الظروف ضرورة وجودك هنا.

ــ أمر طبيعى أن أفضل الرعاية بمريضتى وطفلها أطول فترة ممكنة وكلما كان ذلك ضرورياً.

ــ حسناً، لا زلت غير راضى عن الأسلوب الذى تتطور به العلاقة بين أخى وكارمليتا. إذ أننى لا زلت مجرداً من المعلومات والأخبار بشأن رودريك، وأعتقد أنه بمجرد شفاء وتماثل كارمليتا وإفاقتها من الاثارة بالطفل والعودة إلى المنزل، حتى تعاودها التساؤلات، بشأن زوجها وغيابه الطويل، وعندها لن ترضيها أو تقنعها إجاباتنا وتبريراتنا لافتقاده.

ــ أنا على يقين من أنك على صواب.

ــ يبقى شيىء آخر، طالما أن الوقت لا يزال مبكراً على تماثل كارمليتا، أرجوك أن تقللى من سهراتك خارج المنزل مع ويليام حتى تستقر الأمور ههنا تماماً.

استشاطت روزالين غضباً من كلام الكسندر وتحرك بالحديث والخوض فى شئونها الشخصية، صاحت قائلة:

ــ فما هو الشيىء الذى دعاك للإعتقاد بأن خروجى مع ويليام كان بدعوة منى؟

ــ من الواضح أنك تبغين الخروج والسهرات خارج المنزل والانغماس فى الملذات، ولقد لاحظت نفس الرغبة فى عيون



www.hewity.com
GEGE86

ويليام أيضاً، ولذلك أيقنت أنه من الأفضل ذكر ذلك لك الآن.

نهضت روزالين واقفة، وهى تحاول كبت الخنق، والغضب الذى أصابها من جراء التلميحات الجارحة والإلتواء واللف والدوران فى حديث ذلك الرجل، قالت:

ــ ليس هناك شيء اطلاقاً بينى وبين ويليام، بصرف النظر عن الخروج لذلك الكونشرتو السخيف، فهل هذا يكفيك؟

حينئذ مال إلى المكتب ومدّ يداً وأخذ شيئاً قدمه لروزالين قائلاً:

ــ إليك خطاب التزكية الذى طلبته منى.

بدا الكسندر حينذاك أنه وللمرة الثانية قد غلبها فى منطقه وأخذ بتلابيب الموقف لصالحه، قالت روزالين:

ــ أشكرك.. لقد...

وابتلعت الكلمات التى كانت تنوى البوح بها، وأخذت المظروف وغادرت الغرفة. فلماذا كانت تريد أن تلمح بأنها على استعداد للعمل فى موفات حيناً من الوقت، بدلاً من الذهاب إلى مستشفى (نورث ويلز) فى العام الجديد، إذا كانت قد توفرت لها الوظيفة ههنا؟ ولما صعدت أعلى الدرج أيقنت من أن أفكارها بشأن وجود علاقة صداقة بينهما ما هى إلا محض خيالها الخاص بها. وبناء عليه يتعين عليها أن تضع واجباتها وعملها نصب عينيها، إذا أرادت أن تبين لصاحب العمل ورئيسها فإن تحرياته عن حياتها الشخصية غير صائبة. على الرغم من أنها فى قرارة نفسها لم يكن ليعنيها ما قال، وعبثت بكل ادعاءاته. وبرغم اثارة أعصابها بمجرد ذكر ويليام



روبرتسون، كانت تفضل أن تعرف أن الكسندر يثق فيها ثقة أكبر، وأن الوظيفة التى كلفها بها تضعها نصب عينيها.

بعد ذلك، أعدت روزالين حماماً للمولود وأعدته للفراش، وأطعمته كارمليتا وشعرت بالتعب والارهاق، فتوجهت للنوم المبكر بمجرد أن تناولت طعام العشاء.

وفى تلك الليلة، بعد كتابة خطاب لوالديها، أخذت روزالين حماماً وارتدت ثوب الفراش، وهى يقظة برغم خططها فى الخلود إلى النوم المبكر. وظهر لها أنها عاجزة عن القراءة لسبب ما، فأدارت زر التليفزيون المتحرك لتشغيله فى حجرتها، ثم الراديو، إلا أن شيئاً من ذلك لم يجذبها أو يهدأ من تفكيرها. لقد كانت فى حالة من الأرق، ولا تعرف السبب فى ذلك. وبالتأكيد ليس السبب طريقة الكسندر داالغليش؟ أليست قد اعتادت على هذا الآن.

ولكنها اعترفت أمام نفسها وأقرت أن السبب هو أختها سيرينا مصدر كل المتاعب. وكانت روزالين قد أغلقت الاتصال الهاتفى فى وجهها فى الأسبوع الماضى وهى بعد لا تستطيع محوها من ذاكرتها اللاواعية. ومشطت شعرها الطويل الأسمر الضارب إلى الحمرة وألقت به يتهدل فوق كتفيها، وقد جعلت الفرشاة التجاعيد الطبيعية تنساب فى حرية سلسلة فاتنة. وتذكرت شيئاً ما لم تفصح عنه حينما جلست مطمئنة أمام المرآة تشاهد جمالها المصقول اللامع الفاتن، إلا أن هذا الشعور لم يستمر طويلاً. فألقت بالفرشاة جانباً، ونهضت واقفة، تربط الحزام الحريرى حول الثوب الجميل الذى ترتديه، ثم انطلقت تهبط أسفل الدرج.

فسمعت أحد الأبواب لغرف النوم ينفتح خلفها وصوت



WWW.REWITY.COM
GEGE86

الكسندر يناديها :

ـ روزالين، آسف أن أزعجك على هذا النحو.

ومسحتها عيونه، الأمر الذى جعلها مضطربة بشأن ثوبها الرقيق الشفاف، خاصة وأنه كان على استعداد لافتراض افتراضات خاطئة. وأضاف.

ـ ليس ثمة فرصة أخرى لأخبارك، بأننى سوف أمضى طيلة النهار غداً خارج المنزل. وإذا أردت الاتصال بى بالحاح تحت ضغط الضرورة، فإننى ساكون فى مستشفى ادينبرغ.

وهبط أسفل الدرج قبل أن تجيب، تاركاً قلبها ينبض بشدة من الخوف الذى لا داعى له بشأن ما قاله. ولما عادت إلى فراشها، حاولت أن تستقر وأن تقرأ احدى الروايات. وبعد ذلك بساعة سمعت كارمليتا تبكى. فأسرعت إلى فراشها، وارتدت الثوب عند خروجها. وكانت كارمليتا جالسة، تنتحب، وتضرب بقبضات يدها فى وسادتها، وشعرها الأسود الحريرى مغطى وجهها المبلل بالدموع، وباختصار، كانت حالة كارمليتا عبارة عن صورة من صور البؤس والشقاء الانسانى.

قالت روزالين برقة ولطف :

ـ ماذا دهاك يا كارمليتا؟ إن المولود نائم، فما الذى يؤرقك؟ أخبرينى ـ الساعة الآن الواحدة صباحاً، لقد حسبت أنك غارقة فى النوم.

كانت كارمليتا تغص غصات أليمة وتزدرت شقاءها، وتأخذ شهقات عميقة، وتنتحب وتبكى، وتحاول أن تسيطر على مد العواطف التى اجتاحتها، قالت: وهى تضع يدها على قبلها :

ـ السبب ههنا... فى قلبى.. لقد أصاب المكروه رودريك. إن قلبى يحدثنى بذلك، ولا أعرف ما هو هذا



المكروه! لماذا لا يتصل بى هاتفياً ولو مرة واحدة؟ ولماذا لم يرسل إلىّ بخطاب واحد فقط؟ ولماذا لم يعد يرسل إلىّ بباقات الزهور التى كان يوجهها إلىّ.. إنه لن يأتى مرة أخرى!

تمزقت روزالين من جراء انهيار الفتاة التام. وكانت قد تقبلت على مضض فى الآونة الأخيرة حقيقة أن زوجها قد غادرها إلى خارج البلاد، وسوف يعود حينما يريد. قالت روزالين :

ـ ألا فاعلمى يا كارمليتا أنه هناك فى بلاد بعيدة، وأنه يعمل ويكد ويشقى من أجل أن يعود إليك بأسرع وقت ممكن.

ـ كلا، كلا، كلا، يجب أن أتحدث إلى الكسندر أرجوك أحضريه إلىّ أيتها الممرضة!

ـ حسناً، سوف أهبط أسفل الدرج لإخباره.

لاحقت نحبات وتشنج بكاء كارمليتا الممرضة روزالين وهى تشق طريقها إلى مكتب الكسندر لإطلاعه على الموقف. فقرعت الباب، ولكن لم يكن ثمة أحد يرد ففتحته بهدوء خشية أن يكون الكسندر داخل المكتب ولكنه لم يسمع قريع الباب، فربما كان غارقاً فى الأعمال ومشغولاً حتى هذه الساعة المتأخرة كالمعتاد والغالب. كان الكسندر جالساً على مكتبه، محاطاً بالملفات والأوراق، وقد شرب نصف فنجان القهوة وتركه جانباً حتى برد، صاحت روزالين :

ـ الكسندر.

التفت الكسندر وقد أجفل مروعاً، وهو ينظر إليها كما لو كانت غريبة، فدعك عينيه، وتحقق منها، ثم ابتسم ابتسامة واهية، قائلاً :



WWW.REWITY.COM
GEGE86

— يا للسماء، آسف، لقد سرحت بعيداً. هل حدث شيء خطير؟

— كارمليتا. لقد استيقظت من النوم العميق، لتجتاحها عاصفة من الغضب. وهي تصر على رؤيتك.

— لماذا؟ هل بشأن رودريك؟

— أجل، وهل غيره من أحد تهتم به؟

— أوه.. كلا. إذا استيقظ أبي ولحق بنا سيكون ذلك أمراً موفقاً.

كانت كارمليتا جالسة بجوار مهد الطفل، والدموع تنساب أسفل وجهها وهي تتمتم بما بدا كما لو كان تعويذة ورقية لا نهائية تقولها بلغة بلادها وهي تمسح على رأس مولودها بحنو وعطف بأصابعها الرقيقة. وفي البداية لم تدر بوجودهما حتى تكلم الكسندر في صوت ناعم هادىء قائلاً:

— هل كنت تريدين رؤيتي يا كارمليتا؟

التفتت حولها، والغضب الحارق ينبعث من عينيها السوداوين على الفور:

— الكسندر، لقد رأيت رؤيا أزعجتني. كانت بخصوص رودريك، ولسوف أؤكد لك أنك قد كذبتني ولم تخبرني بالحقيقة، ولسوف اكتشفها بنفسي. سأتوجه إلى مكتبه في ميدلاند، وسوف أستدل على مكانه بسؤال الناس.

وضع الكسندر يداً على أكتاف الفتاة المنهارة، فأفضت نبرة صوته الهادىء الحالم إلى انطلاق فيض دموع ساخنة من مآقي كارمليتا. وقادها إلى الفراش. ومضت تمشي بينه وبين روزالين وكلاهما لا يفتأ يهدىء من روعها، وبين الفينة والأخرى، يؤكد الكسندر لها بأنه سوف يجيب على أسئلتها كلما



استطاع إلى ذلك سبيلاً. قال:

— يا كارمليتا، يجب أن تحاولي الهدوء من أجل صحة الطفل. وأنا لم أحاول أن أخفي عنك ما يدور من الأمور.

— يا الكسندر، لم يعد هناك الوقت للعب، يجب أن أعرف كل شيء عن رودريك.

نظر الكسندر إلى روزالين وهي تقف على الجانب الآخر من الفراش، وعيناها يلتقيان في ألم وكرب متبادل وضنى من جراء ما يلاقيان من مأساة الفتاة. قال الكسندر في لطف:

— ألا فأعلمي يا كارمليتا أن الشيء الأكثر أهمية أنه حينما سافر ومضى بعيداً، كان على يقين من أنه يتركك في أيدي أمينة، وأنك قد لمست ههنا بين ظهرانينا أن مولودك قد ولد سليماً آمناً معافاً. وأعلم أنك توافقينني على ذلك.

استطرد الكسندر قائلاً:

— لقد وضع رودريك ثقته في بشأن شئون أعماله التجارية، ولم يكن يعلم أنني سوف أجرؤ على إفشاء سره سواء لك أنت أو لأبي خصوصاً فيما يتعلق بالقلق والمتاعب المالية التي يمر بها. ولكن الأعمال، والمال لا تعني شيئاً بالنسبة له إذا قورنت بحبه لك وللطفل. أما الآن وقد عدت أنت مرة ثانية إلى البيت، وتتمتعين بصحة جيدة، أشعر بأنه لن يمانع في اطلاعك على العسرة المالية التي يعاني منها مؤقتاً، ولكنني آمل أن يخرج منها على خير إن شاء الله، وهذا هو السبب في أنه غاب على حين غرة.

— لا أفهم ذلك، لقد كان موثراً ثراءً واسعاً، وكان لديه المزيد من المال، لقد قال لأبي ذلك،

— أنا على يقين من أنه كان يقول الحقيقة حينذاك.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ـ ولكنه لم يعد الآن وقد علم أنني والمولود قد عدنا إلى المنزل. فلماذا لم يعد، ويوسعه الرجوع من حيث أتى ليحقق المزيد من المال؟

ـ يؤسفني القول بأن الأمور ليست بمثل هذه البساطة التي تتصورينها. كما أنه لم يطلعني على معظم أسراره.

ـ ولكن هذا لا يبرر عجزه عن ارسال الخطابات لي. خطاب واحد فقط أتلقاه منه؟

وعاودها البكاء وانسكبت دموعها مرة أخرى وهي بعد متأثرة من موقف زوجها القاسي منها. فقالت روزالين وهي تحاول تهدئتها:

ـ إنه لو عاد إلى هنا لضحى بأعماله هناك في مقابل وظيفة غير موثوقة وغير مضمونة. ونعدك بأن نعاود الحديث في الموضوع بالغد مرة أخرى، حينما تأخذين قسطاً من الراحة. إلى هنا صاح الكسندر قائلاً:

ـ فكرة رائعة. أظن أنك بحاجة إلى مهدىء معتدل يا كارمليتا. وأعدك بأن نعاود التطرق للمناقشة مرة أخرى، وساعتها سوف أحاول أن أتدبر كيف أستطيع التصرف من أجل اسداء العون والمساعدة لك. وأمامي بالغد يوم عمل شاق، ولكني سأعود على وقت الغذاء.

ثم انصرف الكسندر تتبعه روزالين طلباً للراحة حتى انبثاق الصباح.

كانت المدام هاريس مديرة المنزل قد أطلعت روزالين سلفاً على المتاعب التي تلاقيها من جراء التصرفات الطائشة لابنتها «ماندى» الشابة الصغيرة وعلاقاتها العاطفية مع أحد الشبان، ثم انصرافها عن الدراسة إلى العمل في إحدى المحلات



الكبرى. فاقترحت روزالين عليها أن تستدعيها ذات يوم لكي تنصحها. وكانت صبيحة اليوم التالي فرصة مهيأة لأن تستدعي هاريس ابنتها المتحررة. ووجدتها روزالين تجلس في المطبخ آنذاك مع أمها فعلمت من فورها أنها «ماندى».

ـ صباح الخير، لا أعددت لنا الشاي يا مدام هاريس حتى تنضم إلينا «ماندى».

ـ بكل سرور، ونحن في انتظارك أصلاً.

ـ كيف حالك يا ماندى، لقد حدثتني أمك عنك كثيراً. هل فعلاً تعملين في ذلك المحل؟

ـ أجـــل.

ـ كيف حال العمل هناك، وكيف تسير أمورك في المعتاد؟

ـ على ما يرام.

ـ هل قابلتي هناك صديقك؟ أعلم أنكما تحبان بعضكما البعض، أليس كذلك؟

ـ بالطبع علاقاتنا طيبة، ثم ان المسألة شخصية. والمشكلة أن أحداً لا يتفهم ذلك.

ونهضت تحاول الإنصراف متعللة بعدم مقدرتها على التحدث أمام أمها. فأخذت روزالين قطعة القماش من المدام هاريس بينما هي تحاول مسح المنضدة بالمطبخ، قائلة لها دعي لي ذلك حتى ترى ما إذا كانت كارمليتا تحتاج إلى أي شيء أم لا؟

حينذاك سكبت روزالين كأساً آخر من الشاي للفتاة وقالت برفق:

ـ هلم قصي عليّ يا حبيبتي، ما الذي يقض مضجعك؟

ـ إنها الخلافات والشجار الدائم بين أبي وأمي. وهما لا يهتمان بوجودي أحاضرة أنا أم غائبة لقد التقيت بـ«فيليب»



WWW.REWITY.COM
GEGE86

أول مرة فى حلبة الرماية، فأحببنا بعضنا لأول نظرة. وهو يبلغ من العمر الثامنة عشرة ويحيا حياة بوهيمية، فلا يعلم أين أبوه ولا يتذكر من هى أمه. ولقد عشت معه فى عالمه هذا لأيام قلائل. وأمى تعتقد بأننى فسدت ولكننى لست كذلك. كل ما هنالك أننى أريد أن أكون مع فيليب، فنحن نحب بعضنا البعض.

— إذا انصلحت الأمور وصارت طيبة بين أبيك وأمك، فهل تعاودين الاقامة بالمنزل وترى فيليب فقط فى الأمسيات.

— نعم، بكل تأكيد، فسوف نتزوج، ولكن لا تواتينى الفرص.

— هل تقدرين على اخبار أمك بما قلتى لى الآن يا ماندى. انها منزعجة بشأنك أى انزعاج.

— إنها لا تفهم — ولا أستطيع أن أجعلها تفهم.

ثم واصلا الحديث معاً حتى أفضت «ماندى» بكل مكنون مشاعرها وصارحت روزالين بكل شيىء، وأبدت قدراً من المعقولية وحسن التصرف، ولم يكن من الصعب إدراك أن المشكلة الكامنة وراء كل الشجاعة الظاهرية لماندى ما هى إلا مسألة طفلة ضائعة فى مشكلات المراهقة السريعة التى تمر بها. قالت روزالين على حين فجأة:

— أريد أن أخبرك بشيىء يا (ماندى)، أنا عادة أتوجه إلى (موفات) لشراء الصحف فى صباح كل يوم أحد. فلماذا لا تحضرى فيليب، حتى نستطيع كلنا الانخراط فى المناقشة والحديث فى الكافيتيريا أو شيئاً من هذا القبيل؟

ابتسمت الفتاة على الفور قائلة:

— عظيم، أوافق، وليكن فى الساعة الحادية عشرة صباحاً



بالغد.

وما أن انصرفت الفتاة، حتى عادت المدام هاريس فأخبرتها روزالين بالمناقشة وبموعد لقائها بالغد، وقالت لها:

— أظن أنها تريد شخصاً ما يهتم بها لمجرد التغيير، وهذا هو كل ما هنالك، وهى ترى كل المراهقين والشباب يخوضون فى العلاقات الرومانسية الخاصة بهم، وهى باعتبارها مراهقة ترى أن من حقها أن تجارى نظرائها. وأعتقد أنها سوف ينصلح حالها.

انشرح صدر المدام هاريس، وأضاء وجهها، قالت:

— أشكرك يا حبيبتى. حديثك معها على هذا النحو من حين لآخر من شأنه أن يصلح الحال. فهل ترين أننى أحاول جاهدة أن أساعد ابنتى؟ ثم كيف أننى لا أستطيع أن أراها تعانى وتقاسى.

فى ظهيرة ذلك اليوم، أخذت روزالين وكارمليتا المولود الجديد إلى خارج المنزل لأول مرة فى عربة الأطفال ذات اليد التى تقاد بها، حتى يقوما بنزهة عبر المروج الخضراء والأشجار وضوء الشمس، وجمال الطبيعة الخلابة. قالت روزالين:

— ألا زلتى لم تفكرى فى تسمية المولود حتى الآن يا كارمليتا؟

— أجل، لقد اتفقنا أنا ورودريك على تسمية ابننا «آنغوس رودريك فيردناند مانويل دالغليش!».

ضحكت روزالين ضحكة واسعة وهى تقول:

— يا له من اسم رائع وعظيم، إنه يبدو اسماً من أسماء كبار المشاهير من رجال التاريخ والساسة العظام الذين يتزعمون الحكومات وائدول الممالك.

فى ذلك المساء، بينما كان الكولونيل وكارمليتا فى غرفة



WWW.REWITY.COM
GEGE86

الجلوس قبل العشاء بقليل، عبرت روزالين المكتب للحاق بهم، وفى نفس الوقت خرج الكسندر اليهم، وهو لا يزال يرتدى البذلة الرسمية التى ارتداها فى نفس صباح ذلك اليوم. وبينما تحاول روزالين عدم التصادم به والارتطام به، نظرت إليه تتصنع الأدب الجم قائلة:

ــ مساء الخير يا الكسندر، هل أمضيت يوماً سعيداً!

ــ شطراً من النهار وأمضيته على نحو جيد، منذ أن رأيتك هذا الصباح تتحدثين مع ويليام روبرتسون الذى أخذ يغازلك بصراحة وعلانية، واستنتج من ذلك أنك لا تنوين عمل ما طلبته منك. وكلها أمور تناقض وتكذب انكارك الشديد بوجود علاقة معه، فما رأيك؟ ألست على حق؟

قالت روزالين وقد احتدمت غاضبة:

ــ كلا، ليست لىّ علاقة به البتة. لقد أسأت الفهم.

فأصدر ضحكة جوفاء ساخراً منها:

ــ لا تنسى يا روزالين أننى باعتبارى صاحب العمل، لا أزال أنتظر منك بعض الاعتبارات والاهتمام بالعمل.

ومضى يشق طريقه أمامها خارجاً إلى الباب الأمامى، وسمعت صوت محرك سيارته يزمجر عبر سكون الليل، تاركاً إياها فى حيرة من أمرها وفى حالة من الارتباك من جراء تصرفاته وأسلوبه. كم كانت مجنونة حين أعجبت به فى ذلك الصباح؟



## الفصل السادس

## رودريك فى السجن

مضت بقية نهاية الأسبوع متثاقلة ومطوية على نحو لا متناه يدعو إلى النسأم ويبعث على الضجر. أما كارمليتا فقد كانت نكدة شكسة، مليئة بالأحزان والإكتئاب وتصدر الشكاوى من حين لآخر، وكانت مقاساتها من الإكتئاب المصاحب لفترة ما بعد الولادة، تشكل جزءاً من المشكلة. أما روزالين فقد كانت لقاءاتها مع (ماندى) و(فيليب) فى موفات هى مبعث السرور الوحيد على الاطلاق. إذ حدث أن اجتمعوا فى الكافيتيريا القابعة هنا كما سبق أن اتفقوا وتواعدوا، وجلس ثلاثتهم فى احدى الأركان على منضدة منفردة. وكان فيليب شاباً طويلاً ونحيفاً، وسيم الطلعة والهيئة، تنم مظاهره عن هيكل عظمى لإنسان جائع، وهذا الانطباع عزز منه صلعة الرأس التى تبدو ظاهرة للعيان، ذلك أنه كان قد حلق شعر رأسه كلية.

أما ماندى التى كانت فى أبهى زى وحلة فقد قدمت كلاً من الغريبين إلى الآخر وهى بعد فى منتهى السعادة، قائلة:

ــ أقدم إليك يا فيليب الآنسة بينيت التى تعمل فى نفس المكان الذى تعمل فيه أمى. وأقدم إليك يا روزالين فيليب. أما



WWW.NEWITY.COM
GEGE86

نحن أنا وأنت يا روزالين فقد كنا قد تعرفنا على بعض سوياً من قبل، أليس كذلك؟

كان فيليب فى البداية خجولاً ومرتبكاً، ولكنه سرعان ما أصبح ثرثاراً قال:

ـ أنا لا أتوقع ولا أنتظر من «ماندى» أن تقيم معى فى حياتى الطريدة. ذلك، أننى أعلم أنه من الأفضل أن تقيم حيث تقيم أمها. ولا أريدها أن تأتى معى فى حقيقة الأمور. وعندما أحصل على وظيفة سوف ننتقل إلى مكان آخر للعيش فيه.

قالت ماندى:

ـ خاصة لو أننا تزوجنا. وهذا سيكون أمراً رائعاً وعظيماً.

ـ أنا لا زلت أبحث، ولكننى لم أعثر على شيىء حتى الآن.

وحينما تركتهما روزالين علمت أن الجريمة الوحيدة التى ارتكبها هذا الشابان هى أنهما أحبا بعضهما البعض. وعزمت على التيقظ من أجل العثور على وظيفة ملائمة لفيليب.

ولما عادت روزالين إلى المنزل ألفت الكسندر هناك، فتذكرت على الفور تعليقاته الظالمة عن اعتقاده بوجود علاقة بينها وبين ويليام روبرتسون الذى كان قد تلاقى بها مصادفة فقرأها السلام، فتصادف أن رآها فى نفس اللحظة الكسندر دالغليش. وعلمت روزالين أن الكسندر لو كان رجلاً سعيداً لما اهتم وشغل نفسه بمثل هذه الأمور.

دخلت إلى المطبخ، فى اللحظة التى كانت تخرج مداه هاريس بعناية فطيرة فواكه ساخنة من الفرن. قالت روزالين:

ـ يا لها من رائحة ذكية تبعث على الشعور بالطعام اللذيا يا مدام هاريس، ما نوعها؟



ـ فطيرة محشوة بالتفاح وفواكه أخرى، أتعشم أن تحبيها.

ـ هل عاد الدكتور أم لا يزال خارج المنزل حتى الآن؟

ـ أجل عاد، ولكن أقول سراً لك بينى وبينك، هو ليس فى حالة مزاجية طيبة، ذلك أن المدام دالغليش قد تشاجرت معه بشأن شيىء ما لا أعلمه. ربما كان بشأن زوجها، على ما أظن، يا لها من فتاة صغيرة مسكينة، ليس لدينا الحق فى لومها على انزعاجها بشأن زوجها. ولكن المستر الكسندر لم يبدى قدراً من التفاهم حتى أننى سمعت أصواتاً عالية منذ قليل. أما الكولونيل فهو فى المكتبة، ولا أظن أنه هو أيضاً فى حالة من السعادة..

صعدت روزالين أعلى الدرج إلى غرفتها، وفى ضوء كلمات المدام هاريس، لم تذهب روزالين إلى كارمليتا لرؤيتها على الفور. بل أخذت حماماً واستحمت وغيرت ملابسها، وأمضت وقتاً أمام المرآة وهى تصفف شعرها، وتمشطه وهى بعد فى حالة من غياب الذهن، شريدة العقل، بينما تفكر وتتدبر كيف تستطيع أن تساعد على إزالة وحل المشكلات التى تسبب لذلك البيت الذى كان سعيداً هبوطاً وعزقاً فى بحر الكآبة والبؤس والشقاء.

ولم تكن حالة كارمليتا المزاجية تسمح لها بالانخراط فى المحادثات من أى نوع. إلا أنها بمجرد دخول روزالين فى غرفتها، انتفت حول روزالين، واغرورقت عيناها بالدموع قائلة:

ـ لقد عملت حماماً للطفل، وأطعمته سلفاً. وبعد العشاء على ما أعتقد سوف أطلق الرصاص على نفسى. نظرت روزالين إلى الطفل النائم قائلة:

ـ لا تفكرى فى مثل هذه الأمور يا كارمليتا! فأنت الآن



www.rewity.com
GEGE86

أفضل حالاً عن ذى قبل، وابنك ينمو بقوة ويزدهر، وزوجك لا بد عائد فى أى وقت إن عاجلاً أو آجلاً.

ـ أنت لا تعلمين أموراً كثيرة يا روزالين. ليست هذه هى الحقيقة التى تقولينها! فأنت لا تخبرينني بشيء! والكسندر أيضاً لا يطلعنى على خبايا الأمور، فكيف أعيش حياة مثل هذه الحياة.

هدأت حدة وثورة كارمليتا أخيراً، وعادت إلى طبيعتها. وعلمت روزالين أن التفاهة صارت سعيدة ومتعقلة بالرغم من دمائها اللاتينية الحامية، ولكن لا يزال أمامها العذر الهائل من المتاعب التى يتعين عليها احتمالها. قالت روزالين:

ـ ألا فاعلمى يا كارمليتا أننى أعرف كم مقدار المشقة التى تتكبدينها فى بدء حياتك الزوجية فى دولة غريبة، ثم يضاف إلى ذلك متاعب المولود. ولكن أرجوك أن تهبطى أسفل الدرج لتناول العشاء معنا، ثم بعد ذلك بوسعنا أن نقرر ما الذى يتعين فعله فى المستقبل، بشأن رغبتك فى الاتصال بزوجك.

استسلمت كارمليتا استسلاماً تاماً. وخضعت لما أملته عليها روزالين. وعلى الطعام، كان الكولونيل سعيداً وفى أفضل حالاته المزاجية، فراح يسرد عليهم الحكايات والقصص مما جعلهم جميعاً يضحكون بصوت عال وقهقهة مرتفعة النبرة. وحتى الكسندر الذى دخل غرفة الطعام مبتئساً، لم يستطع إلا أن يستجيب للابتسامة وهجر التوتر والحزن. وفيما بعد ذلك، تمكن الكولونيل من إغراء كارمليتا لمشاهدة أحد الأفلام التسجيلية التى تتناول بلادها بالدراسة، فخضعت كالحمل الوديع. وما أن حاولت روزالين النهوض للمغادرة، صاح الكسندر محتداً للمرة الثانية:



ـ هل سوف تقبلين دعوتى على الخروج لتناول العشاء الليلة؟

ـ لم أستعد ولم أرتب أمورى للخروج.

ـ واضح.

واستدار مدبراً شطر مكتبه، إلا أنه تذكر شيئاً ما، فعاد من حيث ولى، وقال يخاطب روزالين:

ـ بقى شيء آخر أيتها الممرضة. ألا وهو أنه على الرغم من أن كارمليتا أصبحت أكثر سعادة على مائدة الطعام، إلا أنها كانت محبطة تماماً قبل أن نتركها ونهبط أسفل الدرج حينما كانت فى سورة الغضب، أليس كذلك؟

ـ أجل، وأنا واعية تماماً بكل ما جرى.

ـ إذن نحن جميعاً متفقون فى الرأى، وكذلك أبى بشأن حالات الاكتئاب والاحباط التى تعاود كارمليتا من آن لآخر.

ـ إلا أنه يبقى شيء واحد إيجابى، نستطيع أن نفعله يا الكسندر! إن كل ما نفعله هو أننا نخدع الفتاة ونتلاعب بها. ولا بد أن يكون هناك حل ما بطريقة أو بأخرى، حيث إن الأمور تتفاقم على نحو يؤدى إلى أن تصبح أسوأ مما هى فى حقيقة الواقع. إن أخاك ليس فى ورطة ومتاعب بالغة كما يصور لنا، إن كل ما يتعرض له ما هو إلا تذبذبات وتأرجحات الأعمال التجارية وأسواق المال، وهى أمور عادية فى حياة رجال المال والأعمال! وكل إمرء يعلم أنه من المحتمل جداً للانسان أن يفقد ثروته ذات يوم، ثم يستعيدها ويكسبها فى اليوم التالى ـ لقد سمعت أبى يقول بهذا من قبل.

ـ نعم، أوافقك على رأيك، كما أوافق رأى أبيك، فهو محام بطبيعته، أليس كذلك؟

ـ حقاً، لقد قلت الصدق، فأبى رجل حكيم جداً إلى



WWW.REWITY.COM
GEGE86

أقصى الحدود.

وشعرت روزالين بالزهو وهى تفخر بأبيها، وقد رفعت ذقنها إلى أعلى فيما يبدو عناداً ضد الكسندر، إذ أنها قد اعتزمت ألا تسمح لنفسها بالتواضع مرة ثانية إزاء عجرفة وخيلاء دالفليش.

قال الكسندر:

ــ وأنا واثق من أنه كذلك. إلا أننى أعتقد أن أباك.... سرعان ما سوف...

وفى نفس اللحظة انفتح باب المكتبة فجأة، وظهرت كارمليتا وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة واهية ضعيفة. قالت كارمليتا.

ــ سأخلد إلى الراحة والفراش، فلا داعى لأن تقلقى نفسك وتنزعجى، وتأتى لتتفقدى حالى أنا والطفل، يا روزالين. يبدو أنك فى حاجة إلى التحدث مع الكسندر الليلة.

ثم نظرت إليها نظرة دهشة، وواصلت المشى تمضى صوب السلم لكى تصعد أعلى الدرج. فتابعتها عيون الكسندر، ثم تمتم غاضباً:

ــ لماذا تعاملنا بكل هذه القسوة... هل لىّ أن أعرف؟ تتكلم كما لو أنك قد عرضتى عليها المساعدة، أليس كذلك؟

ــ طبعاً، يا الكسندر! كيف يتسنى لىّ ألا أعرض عليها المساعدة؟ إن الفتاة المسكينة تعيش على أعصابها منذ الآن، وكل يوم يمر تزداد الصعوبة والمشقة بالنسبة لها! إننى مطالبة ببساطة أن أحاول إعطاءها بصيصاً وشعاعاً من أمل، لقد كانت تتكلم عن قتل نفسها منذ قليل! وهى لم تكن تقصد ذلك، حسبما فهمت، ولكن السبب فى ذلك يرجع إلى حالتها



المتوترة، والمشدودة. وهى لا تزال تسيطر على مشاعرها وتصرفاتها وفى كامل وعيها، إلا أنه سوف يأتى وقت ينبغى أن تأخذ فيه تهديداتها مأخذ الجد والحذر. ذلك أنه لو حدث لها أى مكروه، فلن نستطيع أن نغفر لأنفسنا ما أصابها من السوء.

بدت ملامح الحدة على تقاطيع وجه الكسندر، واكفهر جبينه، وتدغدغت منه نبرت صوته التى زفرها فى ملل وسأم، قال:

ــ من الأفضل أن تأتى إلى مكتبى يا روزالين. من الواضح أن ذلك لا يمكن أن يستمر على ما هو عليه.

وجلسا فى المقاعد المريحة وقد أرسلت مصابيح القراءة بأشعة الضوء التى تساقطت على وجهيهما. أما روزالين فقد شعرت باضطرابات وآلام فى بطنها، وقد ارتعدت فرائصها من حدة التوتر الذى خيم بظلاله على الغرفة.

أما الكسندر فقد غاص فى جلسته وتشابكت يداه معاً على نحو مرسل، وهو يحدق فى البساط كما لو كان يجمع شتات فكره. وغاب عن الوعى حيناً من الوقت اليسير، إلى أن ذكره بوجود روزالين إلى جواره أحد الكلبين الذى عطس وأخذ يلهط. قال:

ــ يجب أن أصارحك يا روزالين بالناحية التشخيصية الطبية من وجهة النظر المهنية البحتة. وأعلم أننى بوسعى الثقة فيك فى هذا المضمار. إن لدينا فى هذا المنزل مريضين فى حقيقة الأمر، الأول أبى، والثانية هى كارمليتا. ولست أعرف ان كان من الصائب أن أضم اليهما المولود الجديد الذى دخل العائلة حديثاً.

تفكر الكسندر ملياً برهة من الوقت ثم أضاف:



WWW.REWITY.COM
GEGE86

— على أية حال ينبغى أن تعلمى منذ الآن أن ثمة معلومات قد أخفيتها وحجبتها عنك، والسبب فى ذلك هو قلقى المحض على الأفراد الذين أحبهم، وبالطبع منهم أخى رودريك. وأتذكر أننى أخبرتك بأنه شقيقى الوحيد الأصغر الذى تفصل بينى وبينه فترة سنوات عشرة، ولقد جعلنى أبى أتولى مسئوليته فى حقيقة الأمر، وأكاد أقول إنه ولانى رعايته إلى درجة جعلتنى أنفر وأشمئز. ولكن بمرور الأيام أعتدت على ذلك، وحتى كبر وصار يعتمد على نفسه. ولكن فى كل مرة يتعرض فيها للمتاعب والمشاق أكون أنا أول إنسان يدلف ويعرج إليه طلباً وسعياً للمشورة والحل. ثم أردف يقول:

— وفى اليوم الذى تقابلنا سوياً فيه، كنت عائداً من قضاء أسوأ أسبوع فى حياتى كلها، لقد كان رودريك غارقاً فى المشكلات حتى أذنيه ويحدق به الخطر. وكان أحد الأصدقاء قد دفع الكفالة له قبل التحقيق فى قضية فى المحكمة تتعلق به وكان مقرراً أن تنظر فى ذلك الأسبوع. وآلمت شتى الجهود الذى بذلها إلى الضياع، أما أصدقاؤه فقد تبددوا واختفوا فجأة. لقد تلاقيت مع المحامين الذين يترافعون عنه فى برمنجهام واطلعت على التفاصيل القذرة.

وتوقف الكسندر فجأة عن الكلام وقفة قصيرة، كما لو كان يجهز نفسه للإفشاء بأسرار هامة.. قال:

— فى ذلك اليوم صدر حكم قضائى ضده بالسجن لمدة سنتين بتهمة الاختلاس.

— الكسندر.. آسفة أن أسمع ذلك، إن هذا القول يفسر أشياء كثيرة.

— ما الذى كان يمكن لىّ أن أفعله فى مثل ذلك الموقف.



وأنا الشخص الذى تلجأ إليه العائلة دائماً طلباً للنصيحة، وخصوصاً بعد موت أمى. لقد فعلت كل ما أستطيع وحتى عندما أحضر رودريك عروسه إلى المنزل، بدا واضحاً بعض الوقت أن سعادتها قد تلاشت بين ظهرانينا أيضاً. ولكنه بالطبع لم يطلعنا على شىء من تورطاته وانزلاقه إلى أخطائه. لقد قال لىّ رودريك بالحرف الواحد: «لقد ارتكبت جرائم كثيرة يا الكسندر وكنت من الذكاء والمهارة بحيث استطعت الافلات من العقاب، والآن حان الوقت الذى يجب فيه أن أدفع الثمن لقاء ما أجرمت. وسأكون ممتناً وشاكراً لجميلك مدى الحياة لو أنك راعيت كارمليتا والمولود». وطلب رودريك منى أن لا أخبر أبى أو كارمليتا، حتى تسترد كارمليتا والمولود الصحة والعافية، ويعودا إلى سالف حياتها الطبيعية.. يالله من شاب متهور أحمق! لقد وثق بالرجال المخضرمين والمحنكين ذوى الخبرة فى النصب والاحتيال والخديعة، وهى أمور يفتقدها، ثم يحبط ويفشل عملاءه الصغار ويعرضهم للافلاس.

غير الكسندر من جلسته قليلاً ثم مضى مستطرداً:

— فى ذلك اليوم الذى طلب منى فيه اللحاق به، لم أظن مطلقاً أن يضيع الأسبوع كله معه. وبعد حضور جلسة المحكمة، وبعد الحديث معه حديثاً فاصلاً، تمكنت من عقد اتفاق مع محافظ السجن الذى كان متوجهاً إليه. وشرحت له الموقف بشأن المولود الوشيك. وكان الرجل لطيفاً ورحيماً للغاية. وتوصلنا إلى أن أتصل هاتفياً كى أخبره متى يخرج المولود إلى الوجود، حينئذ يتم السماح لرودريك أن يتصل بالتليفون طالباً كارمليتا. وكان يدعى أنه يتكلم من نيويورك رأساً، وهو الأمر الذى اتفقنا عليه سلفاً، وحدث الاتصال فى نفس اليوم الذى



WWW.REWITY.COM
GEGE86

كنت أنا وأنت نتناول طعام العشاء بالمنزل. وتتذكرين أننا اضطررنا حينذاك إلى التوجه إلى المستشفى لأن كارمليتا كانت فى حالة سيئة للغاية فور تلقى المكالمة من رودريك.

تنهد الكسندر وراح يسرد على روزالين الوقائع التى لم تعلمها قائلاً:

ـ أما اليوم الذى كنت عائداً فيه وأقود السيارة الخاصة برودريك، لم انتبه لفحص إرشادات الطريق، ولم أقم بالتتميم على السيارة، وكنت على يقين من أن رودريك لم يستخدمها لعدة أيام. ولما تطاير إطار وعجلة السيارة، أؤكد لك ان ذلك كان بمثابة الفشة التى قسمت ظهر البعير وكانت آخر شيىء يمكن احتماله! وكنت وقتها لا أفكر فى شيىء سوى مشكلات ومحنة رودريك، كما أننى لم أكن قد ذقت الطعام فترة من الزمن لأننى ببساطة نسيت ذلك فى غمرة همومى، وكنت أفكر فحسب فى كيفية شرح ما دار للعائلة.

ثم ابتسم ابتسامة حالمة حينما تذكر ما فعلته معه وقت الحادثة قائلاً:

ـ ولقد حلت فى نفسى تقديراً كبيراً للمساعدة التى أسديتها إلىّ يا روزالين. ولقد علمت حينذاك أن العالم كله لا بد وقد عرف أن أخى ما هو إلا مجرم وسجين غير أن الشاى الذى قدمته إلىّ والكلمات الطيبة التى تفوهتى بها جعلتنى أتماسك..

ردت روزالين قائلة:

ـ لكم تمنيت أن أكون أكثر تفهماً للظروف فى ذلك الوقت.

ـ وبعد ذلك كما تتذكرين، كان ينبغى علىّ أن أسرع عائداً إلى موفات. لقد كانت كارمليتا قد بدأت فى الشك فى



حدوث شيىء ما أصلاً، والبقية تعرفينها أنت والجميع وأنا.

قال الكسندر:

ـ أما المشكلة الكبرى فهى أبى إذ كيف أخبره، وما السبيل إلى ذلك؟

ـ لا أرى أية مشكلة فى ذلك، حيث إنه رجل عسكرى وكان قائداً لفوج حربى، ويعرف كيف يتعامل مع الناس وما هى أقدارهم. وفوق ذلك هو رجل انسان وعطوف.

ـ ربما كنت على صواب. وأنا على خطأ فى محاولة حمايته بعناية فائقة على هذا النحو والاحتمال الأكبر فى هذه الحالة هو أنه لن يحمد أو يشكر لىّ اخفائى المعلومات عنه. ولكنها مخاطرة على أية حال ينبغى خوضها وتحملها.

ـ وماذا عن كارمليتا؟ اعتقد أنها سرعان ما سوف تعرف الخطايا كلها. وأحسب أنها كلما عرفت مبكراً كلما كان ذلك أفضل.

ـ هل تعتقدين أن حالتها تسمح لها بتحمل ذلك الآن؟

ـ أعلم يا الكسندر أن النساء يفضلون معرفة الحقائق الكاملة مهما كانت، ومتى ما عرفتها، يشرعن فى تكييف حالتهن على التطبع بالأوضاع الجديدة الطارئة. إنها مهمتنا ودورنا فى الحياة!

قال الكسندر:

ـ ليس هناك داع لازعاج كارمليتا هذه الليلة وقض مضجعها، تلك الفتاة المسكينة. وسيكون الأمر شاقاً وعسيراً عليها على أية حال حينما نخبرها بالغد.

ـ أحذرك من أن تعدّ نفسك لاحتمال مطالبتها بالعودة الفورية إلى أمريكا الجنوبية، إذ أن ذلك لو حدث لكان أمراً





WWW.REWITY.COM
GEGE86

عادياً للغاية ومن حقها.

ـ إنى آخذ هذا الاحتمال فى الاعتبار، ولكننى أحسب أننا سوف نتعرض للمتاعب والازعاج عندما نناقش هذا. أما الآن، فإننى سوف أتوجه لتوى إلى أبى والإفضاء إليه بكل مكنون صدرى.

شحب وجه الكسندر، وقد تفاقمت مشاعره سوءا وهو يتفكر فى الاحباط الذى سوف يسببه لأبيه، قال:

ـ إنها الظروف والأوقات العصيبة مثل هذه المحنة التى كنت أفضل أن تكون أمى متواجدة وتعيش معنا.

نهضت روزالين وقالت:

ـ سوف أتركك يا ألكسندر تلم شتات ذهنك قبل الذهاب إلى أبيك. ولكن أرجوك صدقنى، أن لا شيىء مما سمعته ههنا سوف يقال أو يفشى خارج هذا البيت إلى أى انسان مهما كان. طالما أنك قد استطعت وتمكنت من حفظ أسرارك ههنا.

قال الكسندر متأملاً:

ـ دعينا نتعشم ذلك. لقد بذلت أقصى ما أستطيع. ولا تنسى أن المحامين الذين يعملون لحساب العائلة يعرفون بكل شيىء بطبيعة الحال، وثمة النذر الضئيل من الأصدقاء القدامى القلائل الذين بإمكاننا الاعتماد عليهم. وأعتقد أن الحكم بالسجن على رودريك قد تم التبليغ به فى الصحافة الخاصة بالمنطقة التى تقع فيها المحكمة، بالإضافة إلى النشرات السيارة. ولحسن الحظ فإن رودريك ليس واحداً من هؤلاء الذين يتم التنقيب عن ماضيهم. ذلك أنه ـ كميزة له ـ أحب أن يوثر عنه أنه عصامى بنى نفسه بنفسه. وبناء عليه يتحمل هو وحده



فقط عواقب تردى الأمور وسوء طوالعها. فى حالة ما إذا باءت خططه بالفشل الذريع والإخفاق التام، ولذلك دعينا نأمل أن لا يكون ثمة دعاية ونشر للصحف عن الفضيحة، وربما يحالفه الحظ فيحظى بنوع ما من أنواع تخفيف العقوبة. وبعد خروجه من المحنة، ووقوف كارملينا بجانبه تعاضده وتشحذ همته وتسانده، أعتقد أنه لن يقع ثانية فى المستقبل فى مثل ما وقع فيه الآن.

وسرعان ما قالت روزالين له:

ـ هلم يا ألكسندر توجه إلى الكولونيل وأخبره بما تنوء عن حمله كواهلك.

ـ بصراحة يا روزالين أفضل عمل أى شيىء آخر مهما كان شاقاً على أن أخبره.

ولما صعدت روزالين إلى الدور العلوى، لم يكن ثمة صوت يصدر عن الطفل الرضيع، ولما ألقت نظرة على الأم والرضيع، ألفتهما روزالين غارقين فى نوم هانىء وعميق، وهم غير مدركين أو واعين بان عالماً قاسياً يحيط بهما يستعد ليقتنص سعادتهما.

أخذت روزالين حماماً وتوجهت إلى الفراش، وذهنها لا يزال مشغولاً بما قصه عليها الكسندر. وكانت أعظم ما يقلقها شأنها فى ذلك شأن الكسندر هو ما الآثار التى سوف تترتب على الفضيحة وتصيب العائلة وأعضاءها الآخرين. لقد كان النوم فى هذه الليلة أمراً محالاً، فقد كان هناك الكثير من الأشياء التى لا بد أن تتفكر بشأنها. أولها، وأكثرها وضوحاً هو السبب الرئيسى الكامن وراء تجهم وتعكر الكسندر.

لم تغط روزالين فى النوم العميق فى نفس هذه الليلة الليلاء، وسمعت الطفل يبكى فى وقت يتجاوز منتصف



WWW.REWITY.COM
GEGE86

الليل، وهو موعد طعامه، فتوجهت لتمد الطعام له، فوجدت كارمليتا ناعسة تمضى نحو الطفل لإطعامه، وهى تبتسم وتقول له:

ـ كف أيها الرجل الصغير الصاخب! متى تقلع عن عادتك هذه فى الشعور بالنهم فى منتصف الليل؟

ولما استقر الطفل على صدر كارمليتا يرضع من يديها قانعاً مسروراً، قالت على نحو غير متوقع لروزالين:

ـ أشعر شعوراً غريباً يساورنى، هو أننى لم أعد قلقة على رودريك هذه الليلة، فأنا أتحسن، وأعتقد أننى قابعة فى سويداء قلبه. فهو يعلم أننى أحبه.

ـ بالطبع هو يحبك يا كارمليتا. وسوف يعود إليك سريعاً. وسوف يلتئم شملكما بطريقة أو بأخرى، ولن يطول الزمن لأجل ذلك.

ـ أنت تبدين حزينة يا روزالين، أتعشم ألا تكونى مبتئسة. إننى أؤكد لك أن كل شيىء سوف يصبح على ما يرام.

عادت روزالين إلى غرفتها للنوم وهى غارقة فى التفكير. هكذا يكون الكون قاسياً إلى هذه الدرجة للبعض من الناس، وفى نفس الوقت كذلك وعلى غير انتظار أو توقع، ينبثق الحب بكل صوره الخفية ويلمع عبر الغيوم.

بزغ الخيط الأول من الخيوط البيضاء للفجر، حينما كانت روزالين لا تزال تتململ مؤرقة غير قادرة على النعاس والنوم. فنهضت وهبطت أسفل الدرج لاعداد كوب من الحليب الساخن. وبينما هى تعبر الصالة نحو المطبخ، لاحظت أن المكتب مضاء وباب المكتب مصرع، ومفتوح بعض الشيىء.



فربطت وأحكمت حزام ثياب النوم، ولم تعرف ما الذى ساقها لكى تدفع الباب وتفتحه بنعومة. كان الكسندر جالساً على المكتب، وممدداً بساقيه أمامه ويحدق فى جرات وجلوات النار المنبعثة من المدفأة. صاحت هامسة:

ـ الكسندر، هل لىّ أن أعدّ لك مشروباً..

بدا الكسندر مخلاً بعض الشيىء لما سمع الصوت الصادر منها، ولكنه لم يدهش من رؤيتها، وقد تساقطت خصلات شعرها متهدلة كالشلال على أكتافها. قال مبتسماً:

ـ سوف آتى معك كى أساعدك، فهذا ربما ساعد على طرد النعاس عنى.

ولما وصلا إلى المطبخ، صبت اللبن فى وعاء ووضعته على شعلة النار. أما هو فقد وضع البسكويت والكؤوس على صينية، ثم حملها عائداً إلى المكتب. ووضع المزيد من الحطب على النار، وجذب المقعد الخاصة بها نحوه ليكون بالقرب منه. وسألها إن كان هذا يلائمها فقالت أجل، وبعد برهة سألته روزالين:

ـ هل كل شيىء على ما يرام فى غرفة أبيك؟

طعن الكسندر أصابعه عبر شعره، وقال:

ـ هل تعلمين أن ذلك هو السبب فى أننى لا أزال قابعاً ههنا. حيث بدا لىّ أن النوم غير هام. لقد تلقى أبى الأخبار بهدوء وصلابة الأمر الذى جعل النار تغلى فى عروقى. وهذا ما حملنى على الاعتقاد بأننى لو حدث أن رزقت بأطفال، آمل أن يكون رد فعلى فى نفس المواقف المشابهة مماثلاً لما فعله أبى، هذه الليلة.

أصدرت روزالين أنيناً كبيراً وتنهدت تنهيدة عميقة، وهى



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ترتشف الحليب. قائلة.

ـ أشكرك يا الهى، إن هذا يمثل نصف المهمة، وقد فرغنا منه بذلك.

ـ فى الواقع أود أن أتوجه للفراش لمحاولة الحصول على النوم ولو لساعة واحدة قبل أن أقوم بالشطر الآخر من المهمة. أعتقد أننى أنجزت الجزء الأسهل أولاً.

ـ أنت على حق يا الكسندر، حسناً ينبغى على أن أنام أنا أيضاً قبل أن يداهمنى النعاس ههنا!

نهضت واقفة ومضت تمشى مترنحة، وقد أحست بأنه هو أيضاً قد نهض يمشى بجانبها، وهو يساندها بأحد ذراعيه القويين. ولدى وصولها إلى الباب، نظر فى عينيها نظرة صاخبة. ثم هذب برقة وعطف حانى إحدى خصلات شعرها الذهبى الأحمر مبعداً إياها من وجنتها، جاعلاً أصابعه تمسح مسحاً خفيفاً خدودها الوردية.

كان اقترابه منها وسطوته الكامنة وقوته الظاهرة قاهرة بالنسبة لها. وكان مجرد لمسة من يده على بشرتها كفيلة باضرام عاصفة كهربائية تجتاح جسدها كله، وتأثيرها يجعلها تصاب بالدوار والدوخة. أما صوته العذب فقد كان خفيضاً هادئاً ومربكاً لها. قال الكسندر يخاطبها:

ـ أشكرك شكراً جزيلاً مرة ثانية، يا روزالين. كان عونك لى عظيماً لدرجة لن تستطيعى أبداً أن تعرفيها.

## الفصل السابع

# عالم روزالين الجديد

وفى صبيحة اليوم التالى مباشرة، كان الطقس جيلاً يبعث على النشاط والحيوية، وهبطت روزالين أسفل الدرج لكى تتناول طعام الأفطار مع أفراد العائلة كما هو المعتاد. وكانت مدام هاريس قد أعدت طعام الإفطار الخاص بكارملينا سريعاً، وصعدت به أعلى الدرج لكى تتناول الفطور وهى على الفراش، طلباً لراحتها. وحينما تبوأت روزالين مقعدها على السفرة، كان الرجلان الكسندر دانغليش، وأبوه الكولونيل قد سبقاها إلى الجلوس، والبدء فى تناول الطعام. وساد برهة من الزمن جو من الصمت الذى خيم على الجميع، إلا أنه وقع أن الشمس أرسلت بأشعتها الذهبية عبر النوافذ والبلكونات ذات الأبواب الزجاجية اللامعة، مما أعطى للقوم انطباعاً حسناً بيوم سعيد، وفألاً طيباً بالانتصار والتغلب على المتاعب التى حتماً سوف تنشأ حينما يخبران تلك الفتاة الصغيرة العصبية بالأنباء السيئة عن زوجها رودريك وكيف أنه الآن يمضى عقوبة السجن فى غياهب الظلمات لمدة سنتين على الأقل. حينذاك



WWW.REWITY.COM
GEGE86

انتهزت روزالين تلك الفرصة لكى تكسر من حدة ورتابة الملل الذى أخذ يجثم على صدورهم وهم يتناولون الطعام.. قالت تخاطب الكسندر:

ــ يا له من يوم سعيد، ألا ترى أن الشمس ترسل بأشعتها الدافئة عبر النوافذ؟ لكم سيكون ذلك يسيراً عليكما حينما تخاطبون كارمليتا بشأن زوجها.

حينئذ رد الكولونيل قائلاً:

ــ أجل ولكن أشعة الشمس هذه فى فصل الخريف متقلبة تماماً بنفس درجة تقلب الفتاة، سرعان ما تتحول بالطقس إلى الإختفاء والاحتجاب وراء ستار السحب، وتشعر بالأمطار تهطل من كل صوب وناحية. قال الكسندر:

ــ أجل، ولكننا يا أبى سوف نصعد الدرج لنخبرها كما اتفقنا سلفاً.

ــ نعم، سنفعل يا الكسندر.

وسرعان ما صعدا للفتاة، وأمضيا قرابة الساعتين معها يتحدثان لها بأشياء لم تعلم روزالين ما هى، وإن كانت على يقين من أنها لن تخرج عن موضوع رودريك.

وبعد أن انصرف الكولونيل دالغليش وابنه الكسندر، دخلت روزالين على كارمليتا، فى محاولة للتهدئة من روعها بعد أن أخبراها بالأنباء السيئة، إلا أنها فوجئت بكارمليتا تقول لها:

ــ لقد علمت بكل شيىء وعرفت الحقيقة. الآن، وأخيراً أخبرانى بالحقيقة. كلا الرجلين العظيمين الكسندر وأبوه. اننى أشعر بالأسى لهما. ولكننى لا أستطيع البكاء، لا أستطيع أن أجعلهما يريان ضعفى وجزعى.

وراحت تلهط وتتشنج، مصدرة نحيباً مكبوتاً وهى تبكى،



حين ضمتها روزالين بين ذراعيها إلى صدرها، فراحت الفتاة تنفجر فى البكاء ساكبة الدموع كالشلالات. وظلت روزالين تحتضن الفتاة حتى انتهت أسوأ نوبة من نوبات التأثر والحزن.

رويداً رويداً، وشيئاً فشيئاً، تلاشت شدة ألم وعذاب كارمليتا من جراء معرفتها بالتفاصيل وتحققها من المصاب التى نزل بها وبزوجها، ذلك أن الدموع التى انسكبت من مآقيها غسلت أحزانها ومحنتها. أما روزالين فقد راحت تبعد الشعر الداكن الحريرى عن وجهها. قالت:

ــ هذا أفضل يا عزيزتى. أن تريحى نفسك بالبكاء، وتستطيعين بعد ذلك أن تغسلى عيونك. وسوف نتحدث بشأن الموضوع إذا رغبت فى ذلك، ولكن لو كنت على استعداد لذلك. وربما كان الغد أنسب لهذا.

أدهش روزالين أن كارمليتا تقبلت الوضع على ما هو عليه، خاصة بالنظر إلى صغر سنها وخبرتها الضئيلة فى الحياة، وثقل الكارثة الواقعة عليها. أمرت روزالين يداً لصندوق المناديل الورقية تعطيها لكارمليتا التى أخذت أحداها كى تجفف دموعها وتطهر مآقيها.. قالت كارمليتا:

ــ لقد هزنى موقف الرجلين، لقد كانا عطوفين ومتفهمين تماماً. وأعتقد أننى الآن سوف أكون وحيدة حيناً من الوقت بدون رودريك... يا روزالين هل سوف تقصى على بما تعرفينه من أشياء أخرى؟

ــ أجل سوف أفعل. ولكن خذى قسطاً من الراحة الآن. وسوف أهبط لأسفل كى أعد لك كوباً من الشاى واحضار بعض الأسبرين. وساعتها سوف تشعرين بالراحة والمقدرة على التعامل مع المشكلة لو أنك غرقتى فى النوم برهة من الوقت.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

نفذت كارمليتا ما أملته عليها روزالين، وبعد ذلك انسحبت روزالين خارجة من غرفتها، وهى لا تكاد تصدق أن الأمر كان يسيراً بهذا القدر عما كانوا يتخيلون.

وفى الدور السفلى كان الكسندر وانكولونيل يتبادلان أطراف الحديث فى المكتب، فنظرا فى شغف إلى روزالين حينما دخلت: قال الكسندر:

ــ كيف حالها الآن؟

ــ أفضل حالاً مما تعشمت. لقد انخرطت فى بكاء حار، ولكننى لا أظن أنها قد استسلمت للأمر الواقع بعد.

قال الكسندر متأملاً:

ــ هذا هو مصدر المتاعب. وأشعر بأننى وأنتم لا يجب أن نتبادل التهنئة على النجاح فى الإمتحان إلا بعد حين من الدهر.

مرت بقية ذلك اليوم فى هدوء. وانصرف الكسندر إلى جلاسكو للعمل، وتوجه الكولونيل إلى مزرعته الرئيسية. أما روزالين فقد كانت متألقة بعض الشيء، وخلال تلك الظهيرة، أستيقظت كارمليتا وراحت ترعى الطفل، حتى أنها قامت بعمل حمام لها قبل موعد وجبة الساعة السادسة، وهى تتصرف تصرفات طبيعية وتمارس أعمالها الروتينية تماماً كما لو لم يحدث شيء البتة.

كانت روزالين تتوقع أن تستأنف كارمليتا المناقشة بشأن المأزق والمتاعب التى تواجهها، ولكن بحلول موعد العشاء، ظهرت الفتاة وهى تتعامل مع الأشياء بطريقة طبيعية.

وفى المطبخ، كانت مدام هاريس تنظر حينما دخلت روزالين لجمع زجاجة وشراب عصير المولود. فقالت مدام



هاريس:

ــ هل حدث ما يعكر الصفو حتى الآن؟ أعلم أن كارمليتا الصغيرة قد أصابها الاحباط بشأن زوجها. وعرفت بما كانوا يتخاطبون بشأنه فى الدور العلوى، ثم رأيت وتفرست فى وجه كارمليتا حينما هبطت للدور السفلى بعد ذلك. كانت هادئة للغاية. هلا أخبرينى بما يدور حولى يا روزالين؟

ــ الآن يجب أن تعلمى أن الأمور لا تزال فى مرحلة عسيرة يا مدام هاريس. وإنى على يقين من أنهم سوف يخبرونك بكل شيء فيما بعد. ولكن اعلمى واحذرى أنه لا بد اخفاء الأسرار فلا ينبغى أن يعرفها أو يطلع عليها أى أحد خارج العائلة.

أدى كلام روزالين إلى أن شعرت مدام هاريس بالجراح والألم قالت:

ــ أنت لست بحاجة إلى أن تذكرينى بشيء يتعلق بصميم عملى وأن أحفظ على نفسى لسانى يا حبيبتى. لقد عملت ههنا فترة طويلة من الزمن بسبب أنهم يلمسون أمانتى وهم يقرون ويعترفون بذلك صراحة.

تألمت روزالين وشعرت بالخجل من الرد الجاف لمدام هاريس. قالت:

ــ أنا آسفة يا مدام هاريس. ما كان لى أن أقول ما قلت. أنا أعانى من القلق والاضطرابات فى الآونة الأخيرة.

ردت مدام هاريس قائلة:

ــ إذن فلتنسى ذلك يا عزيزتى. وأنا أتفهم ذلك! وثمة أخبار طيبة تخفف من حدة الأخبار السيئة التى اعتدنا سماعها فى الفترة الأخيرة. لقد تقدم إلى ابنتى الفتى من أجل الزواج منذ ليلتين! فما رأيك فى ذلك؟ لقد كنت أعتقد أنه سوف



WWW.REWITY.COM
GEGE86

يتقدم عاجلاً أو آجلاً. كما أن ابنتى قد تعلمت شيئاً أو أكثر فهى تقول بأنها تشترط من أجل الزواج عدة شروط.

ـ أوه. أنا سعيدة للغاية بما أسمع. خاصة من أجل هناء ماندى.

وحين حلول موعد العشاء، لم تنزل كارمليتا متعللة بأنها لم تكن جائعة وهى الحجة التى بدت معقولة تماماً.

ولما انتهوا وفرغوا من تناول الطعام، اقترح الكسندر تقديم بعض القهوة لها. ووافقته على ذلك روزالين التى قالت:

ـ سوف أصعد إليها وأسألها إن كانت ترغب فى ذلك أم لا؟

عند ذاك ظهرت كارمليتا عند قمة السلم، وشعرها أشعث متفرقاً، وعيناها زائغتين، تصرخ بجنون بكلمات من لغتها الأصلية. وكانت تضرب بذراعيها ضرب عشواء، ثم أطاحت بضرب من يدها الملتفة بفازة أثرية ضخمة فسقطت مهشمة من منضدتها، مقسمة إلى أشلاء متطايرة هنا وهناك، بينما هى تهرول هابطة أسفل الدرج وقد تعثرت وكادت تهلك.

صرخت روزالين:

ـ كارمليتا!

صاحت كارمليتا فى لغة انجليزية ركيكة:

ـ لا يهمنى شيىء! لقد تمزق حبنا إلى الأبد أشلاءً وأرباً! لقد خزلنى رودريك. ولم يعد يحبنى! فاذا أفعل... ماذا أفعل؟

وأخذت تصرخ وتقول:

ـ لقد أحببته حباً جماً ـ ووثقت فيه ثقة عمياء! والآن سوف أعود إلى بلادى، وإلى أبى فى ليلتى هذه، كما سآخذ



ابنى.

وشقت طريقها هابطة أسفل السلم، وغاصت فى قاعه، وكانت أيديها لا تزال متشبثة بالدرابزين، أما وجهها فقد دفن بين ذراعيها، وصتها مكبوتاً ومكظوماً:

ـ لم أعد أرغب فى المقام فى هذا المكان! لقد صرت أكرهه، أنا أكرهه، وأؤكد لك على ذلك! وكل الناس الذين يعيشون فيه! لا. لا. اتركينى وشأنى، يا الكسندر لا بد أن أعود إلى بلدى، أريد العودة إلى بلدى.

وانفجرت فى نشيج ونحيب ودموع لا تتوقف، ويرتجف جسدها مرتعداً على نحو عشوائى هائج. مصدرة كلمات غير مفهومة أو متجانسة. ويستحيل فهمها بينما هى تجاهد من أجل التنفس.

أما الكسندر الذى سمع هذه الاضطرابات فقد هرع إلى المسرح. فرفع كارمليتا بحنو بين ذراعيه، وحملها أعلى الدرج قائلاً لروزالين:

ـ أحضرى لى حقيبتى من المكتب بسرعة!

وأما الكولونيل ومدام هاريس فقد مكثا واقفين عند أقدام السلم فى سكون وصمت رهيب بينما كانت كارمليتا تمر كالعاصفة بينهما صوب غرفة كارمليتا. لقد كانت تقاتل الكسندر كالوحش البرى، صارخة، وناشبة أظافرها، وتعضه كلما تمكنت من ذلك. ولقد بذلك الكسندر الذى شمر عن ساعديه كل ما استطاع من أجل منعها من القاء نفسها أسفل الفراش. ولما ظهرت روزالين، تولت مناولته الحقنة المعدة، ثم أمسكت بقبضة حازمة على ذراع الفتاة الهستيرية. أدخل الكسندر إبرة الحقنة، ثم سحبها أخيراً.



WWW.DEWIY.COM
GEGE86

كان الإجهاد والاعياء والدهشة بادية على وجه الكسندر. وجلس ممسكاً بقبضه واثقة من ذراعه على الفتاة، مراقباً إياها وقد خارت قواها وهبطت حدة القتال، وشيئاً فشيئاً أغمضت عينيها الضخمة المعتوهة، وعادت معدلات التنفس العادية، حتى عاد كل شيء فجأة إلى الهدوء والسكينة. استرخى الكسندر، وخفض حدة توتر كتفيه، وهو ينظر إلى روزالين القابعة على الجانب الآخر من الفراش.

لم ينبس كلاهما ببنت شفة، ولكن تبادلا أفكارهما فقط عبر لغة العيون. وبرقة ولطف أخذ الكسندر يهذب من شعر كارمليتا وهي راقدة على الوسادة برأسها، ثم أخذ رداء صوفياً من روزالين وسجاها به. كان الكولونيل منتظراً خارج غرفة النوم، وكان وجهه متوتراً وجهداً قال:

ـ كيف حالها الآن؟ رد الكسندر قائلاً:

ـ إنها الآن نائمة يا أبتي. وسوف أتصل بوليام، بمجرد إلقاء نظرة عليها في خلال ساعة أو ساعتين.

ـ يجب اخباره بالحقيقة يا بني. يتعذر علينا تجنب ذلك في مواقف معينة. هيا بنا إلى المكتب. تعاليا معي. أعتقد أنكما بحاجة إلى شيء أقوى من القهوة.

وحينما وصل ويليام، كان قلقاً للغاية لسماعه بما حدث. إذ أنه أحد أصدقاء العائلة، وكان يؤكد لأفراد عائلة دالغليش بهذه المشاعر. قال:

ـ إن زوجها خارج البلاد يا الكسندر. وهذا هو كل مبلغ علمي. أما حادث هذا المساء فسرعان ما سوف يتم نسيانه.

وصعد إلى الدور العلوي مع الكسندر وروزالين. في غرفة النوم قام بالكشف على كارمليتا كشفاً سريعاً وهي نائمة قال:



ـ إنها الآن على مايرام وبالغد سوف تتحسن. حاولي يا روزالين أن تغيري لها ملابسها بقدر ما تستطيعين. على الأقل من أجل أن تحصل على نوم هادىء ليلاً.

قال الكسندر بصوت أجش:

ـ أشكرك شكراً جزيلاً يا ويليام. وفي الدور السفلي أرشد الطبيب إلى باب الخروج. قائلاً: نقدر مساعدتك لنا كثيراً.

ـ اتصل بي هاتفياً كلما كان ذلك ضرورياً يا الكسندر، وإذا لم تستطع فليقم أحد آخر غيرك بهذه المهمة.

وفي اليوم التالي، أصبحت كارمليتا شاحبة الوجه ولكنها رابطة الجأش وطلبت منهم عنوان السجن. ولما ناولها الكسندر الخطابات التي جمعها من رودريك أشرقت الفرحة والبهجة على عينيها التعيستين. وذهب عنها كل اضطراباتها الهستيرية.

وأنفقت فترة الصباح في كتابة الخطابات إلى رودريك. وقال الكسندر في نفس الوقت لروزالين أنه يعتزم الكتابة إلى أخيه ملمحاً أنه يعتقد أن كارمليتا لاتزال تحبه بما فيه الكفاية لإبقاء رابطة الزوجية قوية ومتينة. قال مخاطباً أباه وروزالين:

ـ أعتقد أنها قادرة عقلياً على مواجهة الصدمة العاطفية طالما أن أسوأ شيء قد مضى.

وبعد ثلاثة أيام جاء رد رودريك. وكان وافياً وبدت كارمليتا متفهمة. وقرأت الخطابات بنهم وأخبرتهم حين تناول العشاء في تلك الأمسية بالمحتويات. قالت:

ـ إن رودريك يحبني. ولن أعود إلى بلادي للقاء أبي هذه الآونة. وسوف أتصل به وأقول له تعالى إلى ههنا في اسكوتلاندا، وحين ذاك سوف أتحدث معه بشأن الاضطرابات التي ألاقيها.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ونظرت إلى حماها بوقار واحترام وبرقت من عينيها لمعة حنونة :

ـ لا تنزعج. وسوف تتمتع بصحبة حفيدك وتراه ينمو ويترعرع ههنا فى «فالكون هول». ولن أنتزعه منك. وعما قريب سوف أزور رودريك فى السجن. والوقت يمر سريعاً. ولما يتحرر السجين من سجنه، سوف نغادر لقضاء أجازاتنا فى بيت أبى هناك. إنه غنى، ولا يهمه المال.

تبادل الكسندر والكولونيل النظرات والاعجاب بالطريقة التى تؤمن بها الفتاة حياتها وحياة ابنها. بعدئذ توجهت روزالين إلى الدور العلوى لتفرقتها. موقنة بأن ثمة شئون عائلية ينبغى مناقشتها، والآن على الأقل، بدا أن الكسندر دالغليش أخذ ينعم براحة البال.

رقدت روزالين على الفراش مدة طويلة تتأمل شريط الأحداث والمشاق والمصاعب التى تعرضت لها، والتى خطرت على بالها حينما وصلت لأول مرة إلى «فالكون هول».

ولما حانت أوقات الصفاء أمام روزالين والكسندر، اتفق كلاهما على الخروج للتنزه فى صبيحة يوم السبت، ولما حان الوقت وبزغ نهار ذلك الصباح، كان الكسندر قد أعد سيارته الـ«بى. إم. دبليو» وجهزها بكل صنوف المتعة وألوان الطعام، وكانت روزالين قد أصبحت منتعشة متفائلة بنهار سعيد. فاتخذت أبهى حلة وأفخم الملابس ثم هرعت إلى المكياج وأدوات التجميل كى تبدو فى أحسن صورة. وانطلقوا بسيارتهم إلى وديان الريف الاسكوتلندى الرائع الجمال، حيث المروج والخضرة والهواء الطلق العليل.

وبعد تناول طعام العشاء فى مدينة «جريغليش» تذكرت



روزالين فحسب روعة المسطحات الخضراء، والأنهار والنهيرات الغديرة، وضفاف الأنهار التى احتلتها الغابات، والسماء الزرقاء البديعة. ترك الكسندر وروزالين السيارة ومضوا يمشون ويمشون، ويتحدثون بشأن كل شيىء طلعت عليه شمس ذلك النهار، بما فى ذلك ما يحسبون ويكرهون من أشياء فى مخيلتهم، ثم تطرقوا للحديث عن السياحة فى البلاد الأجنبية، والموسيقى والكتب.

أخذ الكسندر بيد روزالين بينما هما يشقان طريقهما عبر الأحجار الزلقة والممرات الضيقة والمنعطفات الدقيقة، ولم يدع يدها تفلت منه. وفعل الشعور بالقوة والدفء المنبعث من يده إلى يدها، فعل بها فعل السحر والفتنة فى ذلك اليوم الباهر.

وزاروا مدينة «جرتينا جرين» فى الخطوة التالية، وهى الواقعة مرتفعات المضاب، والتى اعتاد المتزوجون الجدد أن يهرعوا إليها لقضاء شهر العسل منذ ١٧٩٢ وحتى الآن. وداعب روزالين النعاس وسط الهواء المنعش وضوء الشمس الخلاب، بينما أسف الكسندر على الأماكن التى كان مخططاً لزيارتها ولكنه لم يستطع.

ولما عادا إلى السيارة الفخمة قال الكسندر لروزالين :

ـ أعتقد بأمانة أننى قد أصبتك بالإجهاد والعناء! أليس كذلك! سوف نتوجه إلى أقرب نقطة من المنزل حيث نبحث عن أحد المطاعم لتناول العشاء.

ـ هذا رائع. قالت ذلك روزالين مبتسمة وهى تشعر بأنها لا تستحق كل هذا النعيم.

وتوقفا عند فندق «أوشين كاسيل» الواقع فى «بيتوق». وقدم الطعام فى صالة المطعم، وكان هائلاً على نفس قدر اليوم والنهار الذى أمضياه.



WWW.KEWITY.COM
GEGE86

وأخذا يتبادلان أطراف الحديث وراحا يتسامران بضعة دقائق، ثم غادرا الفندق. ولما صلا إلى «فالكون هول» كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل وكان البيت ساكناً. فألقى الكسندر معطفيهما جانباً. قائلاً:

ـ تعالى إلى المكتبة، سوف نتناول الخمر.

ثم غذى المدفأة بالحطب، فأعاد اضرام جمرات النيران، وولى.

وجلسا معاً على أحد المقاعد العريضة الفخمة فى زوايا قاتمة. وعلى الفور تحدثا عن أشياء طيبة وربما كان السبب هو أنهما كليهما يهتمان بالطب والعلاج. وكان الكسندر يتحدث عن الأسبوع الحافل بالعمل الذى قضاه، ومنه القيام بالعمليات الجراحية التى كللت بالنجاح. قالت روزالين والاعجاب يلمع فى عينيها وقد نست الشراب:

ـ هذا شيء رائع.

ـ ليس شيئاً على الاطلاق. وفى الواقع كان شيئاً رائعاً أن أقوم بعملية ولادة لتوأم.

وقد تأثر بالجاذبية التى تمثلها الفتاة الجالسة بجواره. وكانت خصلات وكثافة شعرها المكتث تخلب لبه وتفتنه. إذ كان كاللهيب فى التحركات المفاجئة التى تقوم بها كالإلتفات، والارتفاع أثناء الضحك والهزات التى تحدثها فتجعل خصلات شعرها تبدو كالكهرمان. وأرسل الكلمات من شفتيه بدون كلفة قائلاً:

ـ يا روزالين أعلمى أنه مهما كان من جمال أختك الذى حدثتنى عنه، إلا أنها لايمكن أن تكون ببساطة فى نفس سحرك وفتنة شخصيتك. ولا أفهم لماذا تشعرين بأنك ترعرعت



فى ظلالها. إذ أنك غيرمحقة فى قولك هذا من وجهه نظرى.

لماذا. أشكرك، الكسندر. لقد بهرتنى أيما ابهار. ثم راحت تتدلل فى ميوعة وخلاعة لأن عيونه كانت تشملها وتحتوى عليها. فأمد يده ليلامس كتفها وانشاءاته الحارقة. فانعقد لسانها، وهى تنظر فحسب إلى يده وهو يسحبها. واحتضنت عيونه عيونها. ومد ساعده ليلامس خصلة من خصلات شعرها المتألق الذى تهدل على أكتافها الخلابة. انعقد لسان روزالين، وأصابها الارتباك، وهى تنظر فقط إلى يده وهو يستعيدها مرة ثانية، هامسة بصوت خفيض أنها حقاً تحتاج إلى ساعده لأن يهذب ويشذب شعرها المتوهج. حينئذ نهضت من المقعد وهى ترنو إليه بنظرة رشيقة قائلة:

ـ يجب أن أنصرف الساعة، وهى بعد تحاول جاهدة أن تفر بنفسها من قوته المغناطيسية الجذابة، التى أدت إلى انهيار ميكانيزم الدفاع الخاص بها برمته. ذلك أن ذوبانها بين هذير ذراعيه تلك اللحظة يمثل لديها غاية السعادة القصوى. ولكنها لو أفصحت عن مكنون مشاعرها، وأسلمت نفسها للتيار فسوف تشعر بكافة ألوان الأسف فى الصباح. لقد كان الكسندر صاحب العمل الذى تعمل عنده، أما عقلها فقد راح يصرخ فى صخب وضجة عالية.

عبر الكسندر معها باب المكتبة، وقبل فتحه أحدق فى عينيها. وبدون كلمة واحدة أمسك بذقنها بين أصابعه، وراحت عيونه تغريها بالغرام الذى رأته منها. وأخذ يرشف فمها ويقبلها بحنو، ثم راح يقبل كل بوصة فى وجهها. وأحدق فى عينيها ثانية كما لو كان يسجل كل ثنية من ثنيات وتعاريج وجهها، وأخيراً عثر على شفتيها اللتين كانتا فى انتظاره بتوق استسلمت



WWW.BEWITY.COM
GEGE86

روزالين لقبلاته الهائجة القوية، وذهب جسدها إلى جسده بتلقائية طبيعية، وبالمزيد من اقترابها منه خار منها العزم وخانتها شجاعتها. فلم تكن قد عهدت ذلك من قبل.

ثم أرسلها عنه وقد أحس بأن القبلة قد أفقدته وعيه، وتمتم:

ـ أشكرك أن جعلتنى أشعر أننى أعيش مرة ثانية، بعد أسابيع طويلة....

ارتجفت روزالين من كلماته، ولمسات أصابعه على وجنتيها. قالت:

ـ كل هذه الأشياء جزء من العلاج.

وحاولت المراوغة منه، ولكنها كانت قد غرقت أصلاً فى دوامة قوته. فجذبها إليه وحاضنها إليه هامساً:

ـ إن مثل ذلك اليوم لا بد ان يكتمل فى أبهى نهايته.

وأرسلت شفتاه رعشات صغيرة عبر جسدها، وهما يلثمان حلمة أذنها. قائلاً:

ـ يجب أن نتصرف على نحو محبب إلى النفس.

أسرعت نبضات قلبها، ثم صعدا أعلى الدرج وهو يحتضنها بساعده القوى، وكان الصمت فى البيت مخيماً لا يقطعه سوى حفيف تلامس جسديهما حينما تلتصق فخذاهما بالاقتراب والابتعاد، ودلفا إلى حجرتها.

أغلق الكسندر الباب، ومال بظهره عليه، محتضناً إياها مرة ثانية. وراح يقبلها. وكانت نيران وحرارة قبلاته والتلاحم بينهما يرسل بالعاطفة الحارقة بينهما. فراحت يداه تربت على عنقها برقة ولطف، ثم جردها من القميص الحريرى بهدوء وبطء خالعاً إياه على كتفيها.



أما روزالين التى شغفت بملامساته وقرب جسده منها، فقد فكت زرايز قميصه وقرب جسده منها، فقد فكت زرايز قميصه. وراحت تمتع ناظريها بالحرارة الدافقة من صدره البنى، والشعر البنى الغامق الذى يغطيه، وحصره القوى.

أصدر الكسندر أنيناً وهو يرفعها بين ذراعيه، أما رداؤها الشفاف فلم يكد يغطى بشرتها الذهبية، وخفضها بحنو وعطف على الفراش الواسع الوثير، وكانت عيناه تتعبد فى محراب تقاطيع جسدها المرمرى.

ـ أنت رائعة يا روزالين. لقد كنت تذهبيننى إلى الجنون.

وطبعت شفتاه قبلات وثيرة على رقبتها الناعمة، وعبر كتفيها، وحلمة ثدييها المستديرين الممتلئين. ثم دفن رأسه فى جمال ثدييها المخملين الناعمين.

وشرعت روزالين تعبث برأسه وتموجات وتجاعيد شعره وكتفيه القويين. وهى تقول:

ـ الكسندر، الكسندر، الكسندر. أنا سعيدة للغاية أنك تحبنى كل هذا الحب. يا عزيزى، لكم كنت أتوق إلى محبتك ومبادلتى نفس المشاعر.

ـ أجل أنا أحبك ولكننى كنت أخفى عنك، خوفاً من احباطى فى حالة عدم حبك لى. إذ ربما كنت تعشقين إنساناً آخر.

وأغرق كلاهما فى الحب والغرام، حتى نسيا احساسهما بالوقت. وبعد فترة من الاسترخاء، سمعا صوت الرضيع يبكى. قالت روزالين:

ـ انه الطفل يبكى. لقد حان موعد طعامه ووجبة الساعة الثانية صباحاً.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ثم نظرا إلى بعضهما وانفجرا فى الضحك العفوى التلقائى.

ابتسم الكسندر بسخرية ونهض، يلملم ملابسه، ولكنه طبع عليها قبلة أولاً.

ـ إذا لم نضحك، أعتقد أن البكاء سوف يكون من نصيبنا! أرجو أن يكون هناك مناسبة أخرى يا حبيبتى. لقد كان عالماً آخر أحياه وأعيشه اليوم.

وفتح باب غرفة نومها، وألقى عليها قبلة أخرى وانصرف.

ثم استأنفت روزالين عملها بسعادة غامرة. لقد كان عقلها لا يزال لا يصدق أى شيىء، وأن كل ما تم ما هو إلا عن طريق تلقائية وعفوية محضة.

وبعد أن أطعمت روزالين الطفل، وأطمأنت إلى أنه قد تناول وجبة ما بعد منتصف الليل، وهدأت نفسه، عملت على أن يغط فى النوم، ثم تسللت إلى غرفة كارمليتا لكى تتفقدها، فوجدتها تغط فى النوم العميق.

ومتى عادت روزالين إلى الفراش وخلت إلى نفسها، كانت ممتلئة بالبهجة والعجب من أن الزمان قد انصلح فجأة، وأصبح ورديا، وفاتناً، وساحراً، وجميلاً إلى حدود تتجاوز أفضل الخيال والهيام.

• • •

## الفصل الثامن

## اجهاض سيرينا

استيقظت روزالين فى الصباح لتجد أن الشمس المشرقة تطل بأشعتها على غرفة نومها، كما أحست بالاشراق والبهجة فى نفسها أيضاً. وملأت السعادة الغامرة أرجاء نفسها وهى السعادة التى لا يستطيع أى شيىء أن يبددها. وفى الدور السفلى، بدت الأمور فى مجملها العام فى منعطف هام.

لقد شاءت روزالين أن تفعل المزيد من الخدمة والأشياء نرضيها والاشتراك فى الشئون المنزلية والعائلية، وأخذت تراقب مدام هاريس فى أعمالها بالمطبخ، وهى تتعلم أسرار عمل وصنع «الأومليت» عجة البيض. وصنع الكعكة المستديرة المسطحة وسائر أنواع وضروب الطعام الانجليزى وصنوفه. وبدا أن الفتاة تتصرف وكأنها قد خرجت بالتدريج من كابوس خفى، وبدت الآن على أعتاب الحصول على كل ما تريد وتحلم به ـ الا وهو تعلم كيفية أن تصبح زوجة طيبة وصالحة وأماً لرودريك والشروع فى التخطيط للمستقبل.

وفى وقت لاحق من ذلك الصباح فى يوم الأحد استدعى



WWW.REWITY.COM
GEGE86

الكسندر روزالين إلى مكتبه. وبدا مسترخياً وسعيداً، وجذبها إلى ذراعيه فى نفس اللحظة التى أغلق فيها الباب. قال مبتسماً وأخذ يقبل جبهتها:

ــ روزالين. هل كنت أحلم بالأمس أم لا؟

ضحكت وقد تورد وجهها وبشرتها قائلة:

ــ لقد كنت أعتزم سؤالك نفس السؤال، ولكن طالما أن كلينا قد شعر بحاجته إلى معرفة إجابة نفس السؤال، فإننى أقول لك انه كان حلماً عظيماً رائعاً تزداد عظمته باستمراره!

ــ من يعلم ما الذى يخبئه القدر لنا فى المستقبل؟

وابتسم ابتسامة عارضة، وأخذ يقرأ بعض الأوراق.

لم تقل روزالين شيئاً، وقد تحققت من أنها أخطأت، وقررت ألا تظهر مشاعرها وأن تكبتها وتخفيها، وإلا فإن الألم والجرح سوف يكون أعظم أثراً. ولما داهمتها تلك الأفكار، ضوى عنها بعض من بريق اليوم.

كان الكسندر غارقاً فى اهتماماته بأشياء أخرى. قال لروزالين:

ــ أما الآن وقد بدت كارمليتا شغوفة بتنظيم نفسها على نحو مرضى، ماذا ترين فى تخفيض بعض أعمالك ههنا؟

ــ حسناً، لقد اقترب كثيراً موعد المقابلة للوظيفة الجديدة، وطالما أنه لا يزال هناك شهر قبل انتهاء عقد العمل الخاص بى هنا، أكون سعيدة لو شاركت بالمساعدة فى المستشفى إذا راق ذلك لك؟

كان الكسندر واقفاً خلف مكتبه، وظهرت عليه آثار النعمة والثراء وكانت كل بوصة منه تؤكد ذلك، وقد ارتدى أبهى حلة لديه، وهى ذات اللون البيج، قال:



ــ رائع. ابدأى أولاً بقضاء فترات النهار الصباحية مع كارمليتا فى حالة إذا كانت تريد المساعدة هى أو الطفل، ثم امضى فترات الظهيرة فى المستشفى والعمل هناك. ولسوف تكون الممرضة هيلارى نوريس سعيدة بذلك.

ــ عظيم! لقد دعتنى لتناول الشاى هذه الظهيرة، ولذلك فأنا أتباهى بذلك.

وبينما كانت تقود السيارة عبر الريف الأسكتلندى، سرحت فى علاقاتها مع الكسندر، ووطنت نفسها على الانفصال وأزكار قلبها. إذ لن يكون هناك سوى هذا. لقد كان الكسندر دالغليش سيداً مسوداً. أما هى فلم تكن سوى إمرأة تصادفت بالرجل فى الوقت المناسب والمكان المناسب. وكان ذلك أمس ولقد غرب الأمس إلى الأبد. أما الآن فنحن فى يومنا هذا الجديد.

ولما وصلت إلى بيت هيلارى التى دعتها إلى زيارة منزلها، وجدت الفتاة الطويلة المبتسمة تفتح لها الباب الأمامى حينما رنت جرس المنزل. قالت:

ــ مرحباً، يا روزالين، ادخلى. زوجى «هامش» خارج المنزل الآن، وبالتالى نستطيع أن نتناول الشاى دون ارتباك!

وسرعان ما انخرطوا فى الحديث عن المستشفى، وأخيراً تطرقوا إلى التهديد الدائم الذى يترصد المستشفى بالانغلاق. قالت هيلارى:

ــ إن الممرضة «مارى هويز» سوف تنظم مظاهرة الأسبوع القادم لبعض الوقت، احتجاجاً على الاغلاق، ولست أدرى هل أنت ممن يهوى المشاركة فى المظاهرات يا روزالين أم لا. أما أنا فأمقت ذلك، ولكن يبدو أن هذا هو الأسلوب الوحيد



WWW.REWITY.COM
GEGE86

لإجبار الناس على التعرف على متاعبنا.

ـ أوافقك. على الرغم من أننى لا أبالى بالمسير رافعة الرايات لمسافات طويلة. فهل هناك أى أمل فى أن يتم تفادى الاغلاق؟

ـ أمر صعب، ولكننى أعتقد أن بعض النقابيين المحليين سوف يتحدون لمحاولة تفادى ذلك وتقديم العون، وحتى لو تم ذلك، فإنه لن يستغرق وقتاً طويلاً.

وأمضيا ساعتين فى بهجة وسرور معاً. وجعلت روزالين ترى وتتفقد منزلها الريفى ذات الطابق الواحد، وتحدثت عن الخطط التى أعدتها هى وزوجها فى تجنب الانجاب قبل أن يوفرا المال الكافى لإقتناء منزل أكبر. قالت:

ـ إن زوجى وأنا نتوق إلى انجاب الأطفال، ولكننا اعتزمنا أن نخرج من هذا الصندوق الضيق أولاً!

ـ لقد نسيت أن أخبرك، بأننى سوف أبدأ فى تمضية فترات الظهيرة فى المستشفى اعتباراً من الغد. لقد تحسنت كارمليتا تحسناً كبيراً. وقال الكسندر إنه سوف يتصل بمسز نورانس وان يخبرها بكل شيىء.

ـ رائع! إننا مشغولون للغاية، وينقصنا الأيدى العاملة، وهذا الوقت ملائم تماماً فى أن تستأنفى العمل فيه.

ولما وصلت روزالين إلى «فالكون هول» تناولت الطعام فى المطبخ مع مدام هاريس. قالت هاريس:

ـ هل علمتى، لقد كادت تجن كارمليتا بالرضيع هذا المساء. ولم ترد أن تجعلنى أفعل أى شيىء! ولن تصدقى أنها هى كارمليتا القديمة، لقد صارت إمرأة أخرى.

ـ رائع، والأروع هو ما الذى يفعله الحب بالناس. أليس



كذلك؟

ـ بالتأكيد أوافقك.

وشرعا يتناولان الطعام وهما بعد لا يشعران بالجوع. قالت مدام هاريس:

ـ هل علمتى يا روزالين، لقد كنت أتمنى كثيراً أن يعثر الطبيب الكسندر نفسه على زوجة. وفى وقت من الأوقات أعتقدت بأنه جاد فى الزواج من المدام «مونتفورد». ولم يكن يهم أنها متزوجة، لقد كانت عينها عليه طوال الوقت وعلى الدوام! ولكن بالطبع، توقف كل شيىء حينما جاءت كارمليتا إلى هنا كزوجة لشقيقه رودريك، ولم تعد تزوره «مسز مونتفورد» بعد ذلك الوقت، وحتى الآن.

وفى صبيحة اليوم التالى توجهت روزالين إلى المستشفى كالمعتاد، وبعد أن دخلت وجدت أن هناك حادثاً مروعاً وقد جاء ضحايا الحادث إلى المستشفى، وكان الكسندر الطبيب الذى قام باجراء كافة العمليات الجراحية فى ذلك اليوم الشاق، وبعد انتهاء العمل انصرفت روزالين، وكان الليل قد بدأ يلقى بظلاله على الكون، ولكنها سمعت صوتاً يناديها فى خارج المستشفى، فالتفتت لتجدها اختها سيرينا: صاحت روزالين مفزعة:

ـ سيرينا! ما الذى تفعلينه ههنا؟

ـ هل من وسيلة لأستطيع أن اجتمع بك للحديث معك؟ لابد أن أراك الليلة!

أصيبت روزالين بغصة لدى سماعها ما قالته شقيقتها، كما أنها استاءت كثيراً من الطريقة والأسلوب الذى تخاطبها به أختها، إذ كانت تتحدث كما لو كانت تملى عليها الأوامر



WWW.REWITY.COM
GEGE86

وتصدر لها التعليمات.

ـ آسفة يا سيرينا. ولست أريد أن أتحدث معك، ولا أن أعرف مشكلاتك!

ـ أنظرى يا روزالين، إننى أعرف مقدار كراهيتك ومشاعرك نحوى، ولكننى الآن متورطة فى المتاعب المروعة. وأنا آسفة على الطريقة التى عاملتك بها بشأن «حوف» الطبيب الذى كنت تحبينه. أرجوك... ليس لدى إنسان آخر ألجأ إليه فى هذا الوجود إلا أنت!

ـ أنت تمثلين المشاهد المؤثر والدراما على كالمعتاد، وكما دأبت على أن تفعلى ولكن أعلمى أننى مرهقة من العمل للغاية وأكاد يغشى علىّ، وسوف أراك غداً إذا أمكن لىّ ذلك. وربما استطعت أن أقابلك.

ـ كلا يا روزالين، لا أستطيع الانتظار طوال هذه المدة. يجب أن أجتمع بك الآن.. أنا فى حاجة إلى المساعدة!

ـ أجل، سوف نتوجه إلى أحد الفنادق المحلية وتناول بعض الطعام، ولكن أعلمى أن هذا هو كل ما أستطيع أن أقدمه إليك.

وتوجها إلى فندق بالمورال حيث اتصلت روزالين بـ«فالكون هول» كى تخبرهم بأنها لن تأتى على موعد العشاء. ولما جلسا لم تستطع روزالين اخفاء مشاعرها المتعاطفة مع أختها التى تعانى المحنة. قالت روزالين:

ـ ماذا تريدين عشاء كامل، أم قهوة وساندوتشات؟

ـ القهوة والساندوتشات وشكراً.

لم تكن سيرينا فى عجلة ملحة لتتفوه بالحاجة الملحة والسبب الضاغط الذى أدى إلى ظهورها، قالت:



ـ لا أقدر على الذهاب إلى البيت فى «باتنى». لأننى لا أستطيع احتمال ذلك. والانسانة الوحيدة التى ألجأ إليها فى هذا العالم هو أنت.

توقفت سيرينا حينما كانت النادلة تضع الصينية على المنضدة الصغيرة، ثم استأنفت كلامها، بالصراحة العارية الصارخة التى كانت مثلها تماماً: قالت:

ـ إننى حامل فى شهرين، يا روزالين، ولم أتذكر تناول حبة منع الحمل فى وقتها المناسب.

اتسعت عينا روزالين بالدهشة صائحة:

ـ يا الهى! هل أتيت كل هذه المسافة من چيرسى إلى هنا لتقولى لىّ هذا الكلام؟

أصدرت سيرينا أنيناً ضئيلاً يعبر عن التذمر والتململ، قائلة:

ـ حدث أن هذا هو السبب الرئيسى لفعل ذلك! لقد كانت مهنة التمثيل وعملى هناك رائجاً، حيث أسند إلىّ دور لم أكن لأرفضه، ذلك أنه يمكن أن يؤثر على حياتى كلها! وحينما توجهت إلى چيرسى لأول مرة، لم تكن لدى فكرة فى أن يحدث هذا. ولو لم يحدث أننى جاريت «حوف نايبير» الدموى، لما كنت الآن أعانى من هذه الورطة! صرخت روزالين قائلة:

ـ «حوف نايبر»؟ هو الذى فعل بك ذلك؟ هو أب الجنين الذى فى بطنك؟ لماذا لم تفكرى فى الذهاب إليه بدلاً من القدوم إلىّ؟

احترقت أعصاب سيرينا من جراء سخرية الموقف، وقالت:

ـ لم أعد أعرف له طريقاً، منذ أن قطعت علاقتى به قبلاً، ورحلت عنه. وكل ما أطلبه منك يا روزالين هو مساعدتى



WWW.REWITY.COM
GEGE86

على إجراء عملية اجهاض سريعة. فهذه وظيفتك على أية حال ولا بد انك تعرفين أية عيادة معتمدة أو ما يقوم مقامها فى هذه المنطقة. فالمشكلة هى أننى قد حصلت بشق الأنفس على أسبوع أجازة بين العروض، ولذلك يجب العمل والتصرف بسرعة. بل أمامى الآن أقل من أسبوع واحد يتم فيه التخلص من الجنين واكمال العملية الاجهاضية. ويعلم الله كم سوف تكلفنى، ولكن العملية تستحق كل ذلك.

أغلقت روزالين أعينها وقالت:

ــ لا أصدق ذلك ولا أصدق ما أسمع. هل سوف تخبرنى أمك بذلك؟

أصدرت سيرينا سخيراً يعبر عن رفضها لذلك، وقالت:

ــ يا روزالين، دعينا فحسب نتكلم بشأن مشكلتى، فهل سنفعل أم لا؟ كل ما يعنينى ويهمنى هو التخلص من هذا الجنين!

ــ هل أنت متأكدة من أن عمره شهران؟ إذ ان الحد الأقصى هو عشرة أسابيع يسمح فيها بإجراء الاجهاض العلاجى.

ــ اجهاض علاجى! هذه مهزلة! إننى أفضل أن أنطح الحائط برأسى لو جعلتمونى أتبع مثل هذا العلاج.

شعرت روزالين بأنها فى حلم مزعج ربما تقدر لها المقادير أن تستيقظ منه فى أية لحظة. ولكن هيهات. يتعين عليها أن تكون واقعية. إنه ليس الإجهاض هو الأمر انشاق والعسير واللوم فى هذه الأيام. ولكن المشكلة فى اتجاه أختها العجيب الذى أصابها بالصدمة. وارتشفت القهوة، ولم يمس من كلاهما أياً من الساندوتشات. قالت روزالين:



ــ يجب أن يفحصك طبيبان، ويتعين خضوعك واجتيازك لهذه الإجراءات.

ــ أمر طبيعى، ولكن بالتأكيد اندفع بالمزيد من المال هل يجعل الاجهاض قصير الأمر وأقل ألماً ومشقة، بقدر الامكان أم لا؟! هل تستطيعين أن ترتبى أى شيىء هذه الليلة؟

ــ الساعة الآن الثامنة مساء، يجب عليك أن تتخلصى من تسرعك ونفاذ صبرك، حتى يبزغ فجر الصباح. إننى بحاجة إلى التفكير.

ــ حسناً، سأفعل ما تأمرين.

ــ عظيم، اقترح أن تمكثى هنا حتى الصباح، وفى نفس الوقت سأحادث الممارس العام. وأحصل على نصيحته. ولن أصل إلى المستشفى حتى بعد الظهر، ولذلك سوف أتصل بك هاتفياً لأخبرك ما الذى استطعت وتمكنت من فعله ــ إذا قدر لى ذلك.

وما أن أغلق باب شقيقتها، جلست روزالين فى سيارتها خارج فندق بالموراك، وقد استبد بها القلق بشأن الموقف. وذهب بها الفكر إلى أن تجعل أختها سيرينا تقابل ويليام. لقد كانت موقنة بأنه سوف يساعدها بقدر ما يستطيع. ومن الناحية الأخرى، يمكن لألكسندر أن يكون أيضاً ذا رأى وفصل فى حالة ما إذا إحتاجوا إلى أية ثقل لشخصية هامة فى أى عيادة يكون معروفاً فيها معرفة تامة.

حركت روزالين محرك السيارة وانطلقت إلى أقرب كشك هاتف من أجل الاتصال بالكسندر. فى الواقع كانت بينهما خلافات، ولكن هذا شيىء وذلك شيىء آخر، ولم تكن روزالين على استعداد أيضاً أن تعود إلى الفندق مرة أخرى



WWW.REWITY.COM
GEGE86

لكى تتصل من هناك، ذلك أنها لم تكن تريد أن ترى أختها مرة ثانية. ثم انتظرت روزالين حرارة الهاتف لكى تتصل بالمنزل، ولما اتصلت وجدت أن التى ردت عليها هى المدام هاريس. قالت لها:

ــ هل عاد الدكتور الكسندر إلى المنزل أم لم يعد حتى الآن؟

ــ كلا، لقد تأخر يا عزيزتى، لقد اتصل بالهاتف ليخبرنا بأنه سوف يتأخر. وقال إنه لا يعلم متى سوف يعود إلى المنزل، وقال إنه فى الاحتمال الأعظم سوف يمكث فى النادى.

والمعتاد أنه حينما يكون مشغولاً فإنه يتأخر عن المنزل بالأيام الطويلة، وتستطيعين الحصول عليه فى المستشفى، لو كان الأمر ملحاً لديك.

عادت روزالين إلى السيارة مرة ثانية وأيقنت أنه من الصعب الحصول على الكسندر فى هذه الظروف. وهى لا تستطيع أن تتصل به فى حالة انشغاله بالعمل ولم يكن أمامها سوى محاولة التماس عون ويليام. ولما توجهت إلى البيت حيث يقيم ويليام، هرعت تدخل إلى الباب، ولحسن حظها وجدته هناك واقفاً، وكان وجهه مندهشاً ومسروراً، قال:

ــ روزالين، حسناً، لقد اجتمعنا سوياً مرة ثانية، بهذه السرعة! ما الذى فعلته كى أستحق هذه العناية؟ هل هناك شيىء خطأ قد حدث؟

أرشدها ويليام إلى احدى الغرف الهادئة المفروشة بالفراش ذى الطراز الصينى والأبسطة الصينية، وأجلسها على أحد المقاعد ذات المصنوعة من الجلد، وكانت الصحف والدوريات الطبية متناثرة هنا وهناك، وكان ثمة فنجان وطبق فنجان



فارغين ملقين على المنضدة، بجوار المدفأة. قال:

ــ معذرة يا روزالين على هذه الفوضى ذلك أننى أعزب وأعيش بمفردى، وليس لدى الوقت للاعتناء بالأشياء واضفاء اللمسات الجمالية عليها. أجلسى، سوف أصنع لنا بعض القهوة الساخنة، تكريماً لزيارتك لىّ.

وبعد أن مرت عدة دقائق، عاد ثانية يحمل إناءين من القهوة وطبق به ساندوتشات. قالت روزالين:

ــ أشكرك، لم أكن أرغب أن أسبب لك كل هذه الاضطرابات.

ــ هراء، لقد أضاءتى مسائى وليلتى كلها. والآن أخبرينى ما الذى يؤلمك؟

ــ إنها أختى.

وباختصار اطلعت ويليام على التفصيلات التى سمعتها من أختها حرفاً بحرف، وخصوصاً ضيق المهلة الزمنية التى أمامها قبل العودة إلى چيرسى. وأضافت:

ــ لكم كنت أكره أن ألجأ إليك وأزورك فى مثل هذه الظروف يا ويليام، وأنا أعلم كم أنت مشغول، ولكننى أتساءل هل بمقدورك أن تراها غداً فى الصباح ثم تتنقل باحدى العيادات الجراحية المشهورة.

ــ هل هى عادة تلجأ اليك فى هذه الطوارىء الصغيرة؟

ــ كلا، فى الواقع، عندما جئت إلى هنا للعمل، كانت بيننا شقة وخلافات هائلة، بسبب أنها خطفت منى الرجل الذى كان محتملاً أن يكون زوجى فى المستقبل وأنا أنظر إليها ولا أستطيع أن أفعل لها شيئاً. لكن المفارقة فى ذلك أن نفس الشخصية هو أب الجنين الذى فى بطنها!



WWW.REWEIY.COM
GEGE86

ـ إذن فما الذى دفعها لكى تلتمس المساعدة منك أنت وتلجأ إليك ؟

ـ لا أعلم. وأتخيل انه لو تم إجراء الاجهاض لها بنجاح، سوف تستمر فى مواصلة حياتها السابقة كما كانت، وتستمر على علاقاتها السابقة معى.

ـ هكذا تكون طبيعة العلاقات بين الأقارب. ثم قال مضيفاً:

ـ والآن، كيف حال الكسندر، هل يعلم بهذه المشكلة ؟ سيكون قادراً على المساعدة أكثر منى، بالرغم من أننى أستطيع القيام بالفحوصات الأولية، والاضطلاع بإجراءات الدخول والحجز بالمستشفى.. إلخ.

ـ إنه فى ادنبرغ، ومشغولاً حتى أذنيه بالعمل حتى الآن.

ـ أوه، يا عزيزتى. حسناً، أقترح أن تحضرى سيرينا إلىّ فى الصباح الباكر، إذ لدى عملية جراحية فى الثامنة والنصف، ولذلك لو أحضرتيها مبكرة ساعة عن ذلك، سيكون هذا أمراً ملائماً لدى، وسيكون لدى الوقت الكافى للاتصال بالعيادة أيضاً.

تنهدت روزالين بعمق، وقالت:

ـ أشكرك شكراً جزيلاً، يا ويليام، فلنفعل ذلك.

ـ هل تعلمين أن العملية سوف تكون على حسابكم ومكلفة للغاية ؟!

ـ نعم، وهى تقول إنها جاهزة ومستعدة من أجل ذلك.

ـ حسناً، فلنستعد إذن، والآن استرخى واشربى قهوتك.

وابتسم، وشيئاً فشيئاً حول المناقشة بعيداً عن المشكلات، حتى أيقنت أن ساعة كاملة قد مضت فى صحبته الأليفة، وأكلت بالفعل بعض الساندوتشات.



وحينما غادرت المكان، وضع ويليام ذراعه حول كتفها، وقال:

ـ والآن كفى عن الانزعاج ـ وهذا أمر منى إليك بذلك. وأنا واثق من أن كل شيء سيكون على ما يرام، وسوف أراك عند الصباح.

وعادت روزالين إلى المنزل، وكانت مشكلة سيرينا تسحق عقلها. وتاقت إلى التحدث مع الكسندر، ولكنه لم يكن هناك، وبعد أن اتصلت هاتفياً بسيرينا، لاخبارها بالموعد المحدد الذى يجب عليها أن تكون هناك بالمستشفى فيه، شعرت بأنها منهكة ومتعبة للغاية فتوجهت من توها للفراش.

وعند الصباح، قدمت روزالين أختها سيرينا إلى ويليام، وانتظرت فى الغرفة الأمامية، حتى أعاد فحصها ويليام ليؤكد أنها بالفعل حامل. ولما خرجا، قالت سيرينا:

ـ ليس ثمة شك، أخبرنى بذلك ويليام.

أدخلها ويليام إلى حجرته، وقال:

ـ سأتصل بالعيادة، وهى إحدى العيادات الجيدة فى جيلاسكو، ولكنهم لن يسرعوا بالعمل كما تريد. ذلك أن اليوم هو الثلاثاء، ويجب أن تتم عملية الاجهاض بالغد، وبناء عليه يجب الانتظار بالعيادة حتى الصباح ويتم الخروج يوم السبت.

لم يعبأ ويليام برشاقة وجمال الشقراء سيرينا، وهو الأمر الذى أسعد روزالين، التى صاحت:

ـ أجل، أشكرك، كلما كانت العملية سريعة كلما كان ذلك أفضل.

ـ حسناً، سوف أتصل بك فى «فالكون هول» يا روزالين، وسوف تكونين هناك فى الصباح، أليس كذلك ؟



WWW.REWEIY.COM
GEGE86

ـ نعم، وفى نفس الوقت سوف أتصل بالاخت نوريس وأقول لها إننى سوف أتغيب. فى اليوم التالى.

ولما تفرقوا، وأصبحت روزالين مع سيرينا بمفردهما، قالت روزالين:

ـ هناك بعض المحلات القليلة فى الشارع الرئيسى بعيداً عن حركة الشارع الفرعى، فإذا أردت شراء أى شيىء لتأخذيه معك إلى العيادة، فافعلى.

واستطلعت وجه أختها، طالما ظنت أن مخاوفها قد انحصرت، ولكنها استشعرت صعوبة أن تعرف ما الذى يدور بخلدها، قالت:

ـ أفضل الآن التوجه إلى «فالكون هول» وانتظار مكالمة ويليام.

ـ لن أنسى أبداً مساعدتك يا روزالين.

ثم دخلت روزالين إلى السيارة وفتحت نافذة السيارة لتقول لها:

ـ ولكننى لا زلت غضبى مما فعلته فيما سلف. وعلى أية حال اتصلى بى.

قرر ويليام أن يقابلها فى العيادة فى تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى. وكانت على مقربة من المستشفى الملكى، وأثناء تفكيرها، حسبت روزالين أن أختها سيرينا قد انكسرت شوكتها، ولكنها تأبى أن تقر وتصرح بذلك. ولما وصلا إلى المبنى الطويل الضيق، كان ويليام قد سبقهما إلى هناك، وتمت إجراءات ادخالها العيـادة. كان وجه سيرينا شاحباً فى تلك اللحظة، وألقت نظرة حزينة عارضة على أختها روزالين. فقالت لها روزالين وقد ذهب عنها حقدها وحنقها



على أختها:

ـ سوف تكونين بخير، يا حبيبتى، وسوف ينتهى كل شيىء قبل أن تتحققى من ذلك. وسوف أتصل أيضاً بك هذه الليلة.

ثم اختفت سيرينا من ناظريها بصحبة إحدى الممرضات اللائى بدت على ملامحهن صفات الأمومة، ولم تنظر خلفها. حينذاك قال ويليام لها:

ـ هل ترغبين فى الاتصال بألكسندر من هنا؟ باستطاعتى مساعدتك.

ـ كلا، لا داعى لذلك، فالأمور حتى الآن طيبة. وسوف يقوم بالواجب الطبيب الآخر الذى خاطبته فى المسألة. وهو يتوقع وينتظر أن نتصل به فيما بعد. هل تعلم أننى الآن فحسب بدأت أستوعب كافة تفصيلات الموضوع، ومقتضيات التصرف بفطنة وحذر، ذلك أن الموضوع شائك كما أننى حساسة بنوع خاص حينما يتعلق العمل باحدى قريباتى، ذلك أن المريضة فى هذه الحالة هى أختى الشقيقة، حتى وان كانت بيننا بعض الخلافات العائلية.

أمسك ويليام بيدها وقال:

ـ أظن أن خروجنا فى نزهة سريعة فكرة طيبة. وسوف نبحث عن إحدى المقاهى أو الكافيتيريات الهادئة فى مكان ما، لتناول فنجانين من الشاى. ذلك أن كل شيىء سيتم على ما يرام بالمستشفى، وسيقدم لأختك كل عون اكراماً لى، أليس كذلك؟

وكان المقهى قريباً من المستشفى، على الجانب الآخر البعيد عن العيادة. وكان شاسعاً فسيحاً ورحب الجوانب إلا أنه



WWW.REWITY.COM
GEGE86

مع ذلك كان مشغولاً بالزبائن والرواد. فجلسا فى إحدى المناضد الجانبية، وبذل ويليام أقصى مايستطيع لرفع روح روزالين المعنوية. قالت:

ـ أنت يا ويليام انسان طيب القلب إلى أقصى الحدود.

ـ أشكرك، وأنا أؤمن أن الأساس فى الأشياء هو مساعدة الغير.

وعلى حين فجأة انفتح الباب، ودخل إلى الكافيتيريا كولبة من الرجال أصحاب الأعمال والمهن الهامة تبدو عليهم الوجاهة والنعمة. وكانت روزالين جالسة فى مواجهة المدخل، ولم تستطيع سوى القاء نظرة والملاحظة. ثم أخذ قلبها يخفق بشدة وكان يقفز من جسدها، حينما رأت الكسندر بينهم. انتفضت الكسندر انتفاضة بسيطة كما لو كان يستشعر وجودها فرآها جالسين معاً. فتجهم وجهه وانقبض، وتردد فى أن يقول شيئاً، ولكنه غير رأيه وأصدر لها إيماءة تحية.

قالت روزالين كما لو كانت انسانة تغرق فى المياه العميقة:

ـ الكسندر ههنا.

رد ويليام قائلاً:

ـ يالها من مفارقة! هل ننضم إليهم ونتجاذب معهم أطراف الحديث.

ـ كلا، أعتقد أنهم سوف يغادرون المكان بعد قليل. الواضح أنه غارق حتى أذنيه فى المشكلات والأمور الخاصة بالعمل. أما أنت ففى وقتك متسع لنا حتى نستمتع بالحديث واحتساء الشاى.

ـ كما تحبين.

وبعد أن أنفقا وقتاً طيباً، خرجا وتوجها إلى سيارتيهما



القابعتين فى مكان انتظار السيارات. وعادا إلى حيث جاءوا. توجه ويليام إلى «سيلكيرك» أما روزالين فقد عادت إلى «فانكون هول». وكانا قد اتفقا على الاتصال هاتفياً ببعضهما البعض فى ذلك المساء.

ولما تم الاتصال، علمت روزالين أن أختها قد أجريت لها العملية بنجاح، وأن كل شيىء على مايرام، ونجحت عملية الإجهاض. ولما تطرق الحديث بين روزالين وويليام بشأن أختها قالت له:

ـ أنا لن أستطيع أبداً أن أسدد لك الدين الذى توقت عنقى به!

ـ نحن سوياً نتعاون على درء الشقاء يا روزالين. والآن توجهى للفراش وانعمى بأحلام سعيدة. وأراك بالغد صباحاً.

وفى الصباح، اصطحبا سيرينا إلى محطة قطار «ويفرلى» حيث كان مقرراً أمام سيرينا أن تأخذ القطار المتوجه إلى لندن، فى أول جولة لها فى رحلتها إلى «جاتويك»، ومن هناك تقلها الطائرة إلى چيرسى. ودعت سيرينا أعضاء هيئة التمريض والعلاج بالعيادة، ولكن لاحظت روزالين أنها تبكى.. لما انصرف ويليام لشراء المجلات والصحف لها، قالت لأختها روزالين، وهى تستخدم المنديل فى تجفيف أنفها:

ـ يالهمى، لن أسمح أبداً لها بالحدوث مرة أخرى، مادمت أحيا وأعيش. فأنا أشعر بأننى قاتلة مجرمة. أرجوك لاتقولى شيئاً لأمى. ويجب أن تكون عملية الإجهاض سراً بينى وبينك طوال العمر، وأرجوك رتبى إعادة السيارة التى استأجرتها إلى أصحابها يا روزالين، وسوف أكتب إليك حينما أصل إلى هناك.



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ـ بالطبع، ولما أدخر مبلغاً من المال سوف آتى إلى چيرسى لقضاء أجازتى. أريد أن أرى أختى المشهورة تمثل على خشبة المسرح!

ـ أرجو ذلك.

وبدأ القطار يتحرك فقالت لها سيرينا:

ـ أشكركما على ما فعلتما لى، أشكركما على كل شيىء.

وبدأ يتلاشى القطار رويداً رويداً حتى أختفى من الأنظار. ولما انصرفت روزالين مع ويليام، بدا البرود يحيط ويعتصر قلبها وكان التفكير السائد الذى سيطر على مشاعرها الآن هو كيف أنها إلى أقصى الحدود غارقة فى الحب مع الكسندر وغارقة فى عشقه.

• • •

## الفصل التاسع

## روزالين تكره الكسندر

فى مساء اليوم التالى هبطت روزالين إلى الدور الأرضى حينما حل موعد تناول العشاء، فتصادف أنها هى والكسندر كانا الوحيدين على مائدة الطعام، فكان مربكاً لها أن تجلس على الطعام فى ظل ذلك الصمت الكريه. ولم يكن أمامهما سوى الحديث عن انطقس والطفل الصغير (آنجوس دالغليش بن رودريك). وبمجرد أن لاحت لها الفرصة، غادرت روزالين المنضدة، وأخبرت مدام دالغليش بأن تحضر لها القهوة فى غرفتها. ولدهشتها أن ألفت الكسندر قد سمع بذلك. فقال بصوت حاد التأنيب، كما لو كان رصاصة خرجت من بندقية:

ـ ليس هناك داع لذلك.

وتلاقت عيونهما عبر الغرفة، وتصارعت انفعالاتها. وكان ملموساً الاحساس بتصعيد درجة الحرارة بينهما للمرة الثانية، قالت روزالين:

ـ المسألة أننى، لدى بعض الخطابات التى يتعين كتابتها.

وأخذت تضرب بأصابعها خصلات شعرها المتقد اللامع



WWW.BEWITY.COM
GEGE86

كى تزيحه بعيداً عن كتفيها، وذهبت نحو الباب، وشعرت بعينيه الناقدتين الغاضبتين تتبعانها باستجابة رافضة، واستهجان. فلحق بها وقال:

ـ إن كارمليتا وأبى قد خرجا مع المستشارين القانونيين لزيارة رودريك فى السجن وسوف يتأخران ولذلك أقترح أن تأتى إلى مكتبى وتسمعى ما أقوله لك!

كان شعر الكسندر شعثاً مسترسلاً على جبهته، واستبد به الغضب واتقدت عيناه بالشرر وسط رموشه وجفونه كثيفة الشعر. رفضت روزالين التخويف الذى مارسه عليها الكسندر. وضحكت، عازمة على امتصاص حدة الغضب والعدوان من بينهما. قائلة:

ـ آسفة، يا الكسندر، لقد كان لدى فى الفترة الأخيرة الكثير من الشئون الشخصية. فهل يمكنك إرجاء ذلك حتى الغد؟ إذ أن لدى أسبابى وأعذارى الخاصة. التى أريد أن أستأثر بها.

ولما فرغت، وجدت أن قلبها لا يزال يخفق من جراء جاذبية اقترابه منها، لقد كانت شفتاه هما اللتان اضرمتا النيران فى شفتيها من قبل بعواطفهما الدافئة الحارة والجياشة، وعيونه كانت تتعبد فى محراب جمالها، فمتى يمكن لها أن تسمح حتى لنفسها بنسيانه.

قال مقاطعاً إياها:

ـ آسف. ثمة أشياء أريد التحدث بها معك الآن!

وكان تعنيفه لها بمثابة الصفعة على الوجه، إلا أنها هزت رأسها بابتسامة عارضة، متجاهلة الاهانة الكامنة فى تعبيراته. قالت:



ـ حسناً، ولكن لماذا أنت تأخذ الأمور بهذه الجدية المفرطة؟ لقد حسبت أنه منذ عادت السعادة إلى كارمليتا، صارت الأمور أكثر سلاسة وهناءً.

مضى الكسندر أمامها عبر غرفة الطعام إلى غرفة المكتب، ووقف هنالك ممسكاً بباب مكتبه جاعلاً إياه مفتوحاً. قال فى كلمات مرتجلة:

ـ لقد ظننت ذلك أنا أيضاً.

هزت روزالين رأسها. إذ لم يكن أمامها ثمة شيء سوى الاذعان. وأغلق الباب وجلس، ثم نهض وتوجه إلى مكتبه كما لو كان عاجزاً عن تقرير الذى أراد أن يقوله. وعند ذلك الحين، شعرت روزالين بأن ذهنها قد زالت عنه أعباء وهموم القلق الناتج عن اضطرابات كارمليتا وأختها. وذهب تفكيرها إلى التعجب والتساؤل: لماذا يجب أن تدفع علاقتها مع ويليام، الكسندر إلى تحطيم العلاقة التى بدت تنمو وتزدهر بينهما. قالت:

ـ ألا فاسمع يا الكسندر، إذا كان كل هذا بسبب علاقتى بوليام روبرتسون، إذن فسوف أشرح لك وأفند كل ما سوف تتهمنى به من التهم! وأنا أعلم أننى أعمل لديك، وبدلاً من وجودى ههنا صباح أمس، وجدت نفسى فى ادينبرغ. ولم تكن أنت أمام ناظرى ههنا، وبناء عليه لم أستطع الحصول عليك. وكان أمامى ويليام الذى حل عنى بعض ما ألاقى من المشكلات. ومنذ أن قدمت إلى هنا للعمل، لم أسأل عن أية وقت إضافى كاجازة للخروج. ولم أعتقد أنك سوف تهتم بذلك إلى هذا الحد. ولكن باءت كل محاولاتها فى اقناعه بالفشل، وفى نفس اللحظة كان صدره يغلى كالبركان. فنهض وتوجه



WWW.REWITY.COM
GEGE86

إلى أقرب مقعد أمامها وفى مواجهتها، وجلس مشبكاً يديه معاً، كما لو كان لايثق فيها أو يخشى من ضياع أصابعه. أما عيناه فقد كانتا مشبعتين بالاحتقار لها والازدراء بها. قال حانقاً:

ــ لقد أجريت عملية اجهاض، أليس كذلك؟ وبعد أن رأيتك مع ويليام فى المطعم، لم أعبأ بذلك، ولم أعد أهتم بشأنك. إذ أننى لماذا أفعل ذلك؟ إن ويليام ما هو إلا أحد أصدقاء العائلة. ولكن، حينما تصادف عودتى إلى عيادة الولادة مع أحد الزملاء، الذى كان منتظراً فى مكتبه، ألقيت نظرة على قائمة المرضى والنساء اللواتى احتجزن للإجهاض. لقد كان اسمك عليها. الآنسة بينيت. وبالطبيعة، ما الذى يمكن لىّ أن أستنتجه؟ أظن أنه قد انتزعك وتم اجراء العملية يوم الأربعاء. ولما كنت بعيداً عنكما، أعتقد أن المناسبة كانت ملائمة للغاية.. ولا أعرف إذا كان عشيقك السابق هو أب الجنين الذى تخلصتى منه أم هو ويليام نفسه حتماً. فى الواقع، هذا هو السبب فى أنك لم تسمحى لىّ بدخول غرفتك فى ليلة يوم السبت، آملة أن تنسبى إلىّ الجنين الذى تحملينه منذ فترة فى بطنك! ولما فشلت فى ذلك، قررتى أن تجرى عملية الاجهاض، واعتبرتيها أكثر أهمية من الذهاب إلى المقابلة للعمل فى مستشفى ويلز. فلم يكن ثمة حاجة إلى اختلاق كل هذه الحكايات الهزلية لكى تخبرينى بأنك سوف تجرى تلك مقابلة للعمل. لقد آمنت طوال عمرى أن الحقيقة هو أفضل بكثير فى جميع الحالات على المدى الطويل.

وأخيراً توقف الصوت العميق اللاذع على حين غرة.

كانت روزالين غير قادرة بدنياً على رفع عيونها لمواجهته.



فلم تكن قادرة على احتمال التجريح والتقريع والمهانة التى راح يغدق بها عليها. وبدت كما لو كانت فجأة قد فقدت كل عزيمة على المقاومة، أو الدفاع عن نفسها، وتألمت من الشقاء والبؤس والحرارة التى أخذت تلذعها. لقد كان النهار كله مليئاً بالتجريح بما فيه الكفاية. والآن لم يعد لديها القوة لكى تجابه العداء الصارخ والاتهامات التى أضرمت النيران فى كرامتها ومشاعرها. ولذلك دارت كالزنبرك فى عقلها مئات الهواجس والأفكار، لقد كان محالاً عليها أن تتحمل المزيد من القدح. لقد أدانها الكسندر.. الانسان المحبوب الأثير لديها جرح كرامتها، وخدش حياءها.. ما أسوأ الحياة، وما أحقر أن تعيشها... ما أتعس البشر بها من حياة قاسية.

حاولت روزالين أن تقف، وأن تتفادى نظرة الاتهام والتجريح إلا أن البساط راح يدور من تحت قدميها، وسقطت مغشياً عليها على الأرض ومادت بها الأرض وأدلهم السواد والظلام أمام ناظريها.

ولما عاودها الانتباه، رجع إليها وعيها وعاد إليها الرشد وراحت تتحرك أعضاءها، كانت الأصوات التى تستمع إليها شاحبة شائهة. كانت ترقد على فراشها الخاص، وجاهدت لكى تنهض، وكانت الحقيقة المرة تذكرها بما حدث. ساعدتها يد قوية حازمة لتستند إلى الوسادة، فى نفس الوقت الذى وصلت فيه مدام هاريس تحمل إليها اللبن والبراندى، وترتسم على ملامح وجهها العبوس والتقطيب. قالت:

ــ ها قد عاودك الوعى يا حبيبتى، أشربى هذا. يعلم الله مقدار حزنى لما حدث لك. على أية حال لا داعى للقلق. أرجوك يا دكتور الكسندر إذا احتجت إنّى فى شيىء اطلبنى



WWW.NEWLY.COM
GEGE86

بالهاتف الفرعي في المطبخ.

ثم ألقت نظرة أخيرة قلقة على روزالين ثم غادرت الغرفة. أغلقت روزالين عينيها مرة ثانية، بينما وضع الكسندر أصابعه الحازمة على معصمها لقياس النبض، ثم دعك جبهتها بيده. ولما أعادت فتح عينيها وتلاقت مع عينيه، بينما كان جالساً بجوار فراشها، ووجهه مليء بعلامات الكآبة. قالت روزالين:

ـ آسفة لما حدث، فلست ممن يتعرضون للأغماء والاغشاء!

وابتسمت ابتسامة واهية، تحاول أن تكسر حدة التوتر الناشبة بينهما. أما جاذبية وجوده فلم يكن لها تأثير يذكر. إلا أنها عندما تذكرت ما دار بينهما وما قاله، أخذ العذاب والضنى يمزقها، ويشق أعضاءها الألم على نحو لا يوصف. الألم الناتج عن الحكم الظالم عليها، الألم الناتج عن القسوة وغلظة القلب، مع الانسان الذى أحبته حباً كبيراً. والآن صار يحول بينهما ساتر وحاجز من الصلب وصار يفصل ما بين عقلها وقلبها.

راح الكسندر يرمقها بنظراته المهنية كطبيب، ولكنها تساءلت عما إذا كانت نظراته هذه تحمل معانى لا تفهمها. وعجبت مما يكمن وراء نظراته الغريبة. قال:

ـ آمل ألا يكون من طبيعة شخصيتك ذلك الاغماء.

وطفت عليه ثبرة الكبرياء والتعالى، متجاهلاً محاولاتها فى افشاء مكنون صدرها إليه.

قال الكسندر موبخاً:

ـ هذا بلا شك نتيجة عملية الاجهاض، ويعنى ببساطة أنه يجب عليك الخلود إلى الراحة لمدة يومين. كما سبق وأن قلت لك.

ـ ولكن لم تكن أمامى الفرصة سانحة لكى....



ـ لا تكثرى من الحديث الآن. أريدك أن تخلدى للراحة لمدة ٢٤ ساعة على الأقل. إن هذا ليس وقت ولا مكان التحدث عن الأشياء وتبريرها. حيث إن الوقت الكافى الملائم لذلك سوف يأتى فيما بعد.

ونهض واقفاً بهامته الطويلة. وبرزت إلى حلقها غصة وانطلقت دموع الاحباط. ولما ألقى الكسندر النظرة الأخيرة عليها، كانت معناه أنها تعلم علم اليقين أنها هى السبب فى تدمير العلاقات بينها وبينه. ثم غادر الكسندر الغرفة، وأغلق الغرفة بهدوء خلفه.

وعندما خيمت الوحدة والخلوة عليها، بدأت تشعر روزالين بأن جسدها قد استعاد قدرته الطبيعية. فجلست عازمة على تدبر أمورها وراحت تتجرع اللبن، وبدأت تشعر بتحسن. ولم تشعر بفوات الدقائق سريعاً.

وبعد ذلك اعتزمت أن تأخذ حماماً وارتداء ملابسها النيلية. ولحسن حظها، أنها غرقت فى النوم وانغماس قبل أن تعود كارمليتا. وبدا الطفل مبروكاً وسعيداً فى نومه، ويرجع الفضل فى ذلك إلى إسعافات وخدمة مسز هاريس، التى هى بمثابة الأم المحبة التى تحب إلى درجة العبادة.

وحينما حل وقت الظهر من يوم الاثنين، عادت إلى المستشفى، ولم تر الكسندر طوال نهار الأحد، وكان من الواضح أنه توجه إلى ادينبرغ فى وقت مبكر من الصباح. ولذلك كانت فرصة التحدث إليه بعيدة للغاية. وبعد ذلك، كان محتماً عليها أن ينصرف ذهنها بالاهتمام إلى الأمور الأخرى الملحة وما أكثرها فى ذلك المستشفى.

وفى أيام الاثنين من كل أسبوع، كانت هيلارى نوريس



WWW.REWITY.COM
GEGE86

تعلن أنه برغم عدم وجود نساء حوامل كثيرات فى المنطقة فى ذلك الوقت الخاص، إلا أنه هناك الوقت الكافى من ظهيرات أيام الأثنين المخصص لرعاية النساء فى فترات ما بعد الولادة فى العيادات.

عادت روزالين إلى «فالكون هول» بعد انتهاء عملها فى المستشفى وعقلها بعد مليىء بالهواجس والأفكار إذ ما الذى يدعو الكسندر إلى تعنيفها بكل هذا الحقد والغضب طالما لم يعرف بعد أنها بريئة من التهم التى ألصقها بها. ثم إن إقامتها فى ذلك المنزل المشحون بالعواصف قد طالت إلى أبعد الحدود، ثم ساورها كذلك القلق بشأن مستقبلها وطافت بها الأفكار حول حالة أختها سيرينا، وبالمثل عاودها الحنين والمشاعر الجياشة نحو رؤية أمها، لكى تدس برأسها فى صدرها، وتفضى لها بما تلاقى من هوان ومتاعب وأحزان فى هذه الحياة الأثيمة.

ولما وطأت أقدامها المنزل، أدركت على الفور أن الانارة منتشرة فى البيت كما التيار الكهربائى على نحو لامثيل له. وكانت كارمليتا مشتعلة بالسعادة. وبمجرد أن دخلت، نادتها كارمليتا من غرفة الجلوس قائلة:

ــ روزالين، لقد اتصل أبى هاتفياً! وسوف يعود لكى يقيم معنا وسوف يصل فى غضون يومين! وأنا سعيدة للغاية، ولا أعرف ماذا أفعل، أريد أن أقول للعالم بأسره إن أبى سوف يصل علينا قريباً!

وبعد ذلك على موعد المساء عاد الكسندر وتناول مع القوم العشاء، وتم مناقشة خطط إقامة السينور (خوزيه مينلوزا) وفى «فالكون هول» وحتى مسألة ذهابه إلى السجن لزيارة ومقابلة رودريك تمت مناقشتها وبدا الكولونيل أكثر سعادة عما كان



عليه منذ فترة. قال:

ــ بالتأكيد سوف أرحب بأبيك فى العائلة، يا كارمليتا، وأريد أن أحكى له كم اننا ههنا فى هذا البيت الرحيب نحب ونعجب بابنته وفلذة كبده!

توهج وجه كارمليتا الجميل، وصاحت:

ــ أشكرك، كم أنت عطوف وطيب يا بابا. لسوف يصبح كل شيىء رائعاً ــ وأنا أعلم ذلك عن احساس ويقين!

وراحت تشبك يديها فى غمرة النشوة والسعادة تعبيراً عن الفرح. فى ذلك الوقت كان الكسندر جالساً وغارقاً فى التفكير فى أحد المقاعد العميقة ذات المساند الخاصة بالساعد: يقرأ فى احدى الصحف. قال لكارمليتا:

ــ فى غضون يومين، هل قلتى يا كارمليتا انه سوف يصل فى غضون يومين؟ عظيم ورائع، ربما يكون بحلول ذلك الوقت قد خفت حدة وعبء مشغولياتى شيئاً ما.

ولما حل مساء اليوم التالى، كانت كارمليتا فى أوج اهتماماتها بالاعداد لزيارة أبيها ووصوله فى اليوم القادم صباحاً، أما روزالين فقد أخذت تكتب خطاباً موجهاً إلى مستشفى ويلز حيث إنها كانت قد اتصلت هاتفياً بها تطلب تأجيل موعد المقابلة للعمل، وكانوا بالمستشفى قد قبلوا أعذارها بالتأجيل حينما أخبرتهم بأن مشكلات عائلية طارئة وملحة تحتم عدم وجودها فى نفس يوم المقابلة.

وفى الخطاب قالت أنها الآن صارت مستعدة تماماً لحضور المقابلة بعد أن زالت دواعى تخلفها، وأنها الآن صارت كذلك شغوفة بالحضور، وخصصت لذلك الكثير من التفكير والتدبير. ذلك أنها لم تنس أبداً الاهانات التى لصقها بها الكسندر





WWW.REWITY.COM
GEGE86

دالغليش صاحب العمل الذى تعمل فيه الآن فى بيت والده فى «فالكون هول»، ولم تستطع التسامح فى رأيه السيىء فيها وتقييمه الظالم لها. وفى الواقع أيقنت أنها لا تستطيع أبداً كما أنه من المحال أن تنسى الجرح الغائر الذى وصمها به، وأحدثه بها من زعم خاطىء.

ومتى ما تم الانتهاء من كل شيء لصالح عملها الجديد، واجراء المقابلة التى أوشكت على الحلول، والتوقيع على العقد باستلام العمل، ربما استطاعت حينذاك أن تخاطب الكسندر وتفضى له بمكنون صدرها وتصب عليه لعناتها وأن تخبره بالحقيقة الكاملة. وسوف تطلعه على حقيقة ما حدث بحذافيره. وأمامها الآن ثلاثة أسابيع لابد من الانتهاء منها قبل أن تفعل ذلك. وبعدها سوف ترتب أمورها على التنعم بأجازة فى چيرسى مع سيرينا. وهى الآن تخطط من أجل ذلك.

أما الآن وتحت وطأة هذه الظروف الضاغطة، فهى لا تستطيع سوى التمهل، وابتلاع آلامها ويؤسها، وألوان الشقاء الذى لاقته فى ذلك البيت المزعج المنقسم على نفسه.

وكان الهدف الأساسى والرئيسى أمام روزالين هو أن تجتث وتنتزع حبها لألكسندر من قلبها بقوة وعنف وللأبد... ذلك أنها ألفت نفسها معرضة لأشكال وصنوف المهانة على أيديه.

* * *



## الفصل العاشر

## وصول السينور خوزيه

أعرب والد كارمليتا عن رغبته فى إلقاء نظرة على المستشفى التى ولد فيها حفيده. وكان من الواضح أن الكسندر لديه الوقت لمرافقتهم. وكذلك كارمليتا التى قالت:

يا روزالين، لابد أن تأتى معنا. إن أبى يريدك. أليس كذلك يا أبتى؟!

ابتسم «خوزيه» لروزالين ابتسامة عريضة قائلاً:

ــ إذا لم تأت، فلن آتى معكم ولن أذهب!

ولما وصلوا إلى مستشفى «كوتيج» قام مدير هيئة التمرين وكبير الأطباء بجولة فى المبنى كله، وسمعت روزالين المدام لورانس تلمس الموضوع المحير ألا وهو اغلاق المستشفى وتتكلم بشأنه مع السينور خوزيه.

ولما عادوا إلى «فالكون هول»، وبينما كانوا يتناولون القهوة فى المكتب، قال السينور خوزيه:

ــ إن مسألة أغلاق المستشفى خاطئة! إذ لا يجب أن يحدث ذلك. حيث إن مقدار العمل الرائع الذى يؤدى ههنا لا يقدر



WWW.REWITY.COM
GEGE86

بمال . وماذا كانت ستفعل كارمليتا بدونكم جميعاً ؟ وأنا لا أفهم كثيراً فى هذه المستشفيات وأوجه النقص والقصور التى تعانى منها . فهل تم اتخاذ أى إجراء لعلاج المشكلة ؟

قالت روزالين بشغف :

ــ المزيد والكثير من المحاولات قد بذلت . وسوف ننظم مظاهرة أخرى غداً صباحاً حيث سيشترك فيها جميع الأطباء والممرضات وللقيام بمسيرة لعدة أميال .

ــ آه ، هذا شيىء عظيم . أعتقد أننى سوف آتى معكم .

قال الكسندر :

ــ مرحباً بك يا خوزيه سيكون لوجودك معنا تأثير وتشجيع لنا !

وفى مساء اليوم ذاته ، كان الكسندر متوجهاً صوب مكتبه حينما رأى روزالين فقال لها : كيف حال أمورك فى المستشفى وكيف حال الممرضات هناك ؟

ــ لقد عرضت احداهن على وظيفتها لأنها سوف تترك المستشفى وتسافر لكى تتزوج وتستقر فى خارج البلاد .

ــ وهل قبلتى ذلك ؟ قالت روزالين : كلا . ولو كان لديك وقت فإننى أستطيع أن أعطى لك شرحاً عن الموعد المحدد لمغادرة هذا المكان .

ــ ما الذى قررته أيتها الممرضة روزالين ؟

ــ سوف أغادر منزلكم اعتباراً من يوم السبت الموافق التاسع والعشرين من نوفمبر . وسيوافق آخر يوم لها ههنا يوم الأحد الثامن والعشرين . هل هذا ملائم ويرضيك ؟

ــ أجل ، تمام الرضى . أتخيل أنك سوف تذهبين لحضور الحفل الراقص الذى دعاك إليها ويليام روبرتسون يوم السبت



القادم ؟

قالت روزالين بوضوح :

ــ لقد وجهت لى الدعوة وسوف أذهب .

وشعرت روزالين أن أفكار الكسندر سوف تتعلق بترتيب مقابلة ولقاء عاطفى يجمع بينها وبين ويليام الذى يعتقد أنه غريمه فى حب روزالين ، ولذلك قالت له :

ــ وأنت . هل سوف تحضر .

هز رأسه قائلاً :

ــ ليست لدى فكرة الآن . هناك دائماً أمامى الكثير من المشغوليات هذه الأيام من العام كل سنة ، ومن الصعب معرفة أيها الذى ينبغى الذهاب إليه وحضوره ، وأيها الذى يجب أن أتجنبه !

ــ حسناً ، طاب مساؤك يا روزالين . سوف أراك فى المظاهرة بلا شك !

على خلاف كل التنبوءات ، كان يوم المظاهرة ذا طقس معقول وجميل ، وكانت الشمس ساطعة ، وإن كانت مسحة من البرودة لا تزال موجودة . ولو كانت الأمطار لتسقط فى هذا اليوم ، فما كان لها أن تسقط فى هذا الجزء من منطقة « دامفرى » ، وسرعان ما بدأت الحشود تتجمع خارج المستشفى ، والرايات مرفوعة والروح المعنوية عالية . ووجدت روزالين نفسها تمشى مع السينور خوزيه ، والبروفيسور آدامز ، والمستر ثورن ، والمدام لورانس ، وأحد الأشخاص الآخرين المهتمين بالمظاهرة ، وسارت المسيرة فى شكل ثعبان متوجهة صوب وسط مدينة « موفات » كى يجعلوا أهل المشورة والمسئولين يشعرون بوجودهم .



WWW.REWITY.COM
GEGE86

وكان الكسندر الذى ظهر فى أبهى حلة وأحسن الملابس المغايرة لما كان يرتديه عادة، كان يرمق روزالين بنظراته من حين إلى آخر. حتى حانت الفرصة واقترب منها، وكان فرحاً جذلاناً كالتلميذ الذى خرج لتوه من المدرسة.

ولما أوشكت المظاهرة على الانتهاء، كان الكسندر وروزالين بالقرب من سيارتيهما فى مكان انتظار السيارات، فقال لها الكسندر:

ــ ما رأيك يا روزالين لو أننى دعوتك لتناول القهوة فى فندق «بالمورال» ذلك أن لدينا المتسع من الوقت من أجل ذلك؟

ــ بالتأكيد، أوافق.

ولما دخلا إلى الفندق، جلسا فى نفس المكان الذى جلست فيه مع أختها سيرينا من قبل. وجاءت النادلة لتسألهما عما يريدان أن يشربا، وبعد قليل عادت تحمل صينية، ووضعتها على المنضدة التى يجلسان عليها وبينهما هما جالسان سرحت روزالين وتفكرت فى أن تنتهز هذه الفرصة لكى تجعل الأمور بينها وبين الكسندر أكثر وضوحاً، ولكنها تراجعت وآثرت ألا تقحم الموضوعات الشائكة المعلقة بينهما فى مثل هذه الفرصة والمناسبة السعيدة.

قال الكسندر:

ــ هل تفضلين الكريم؟ ردت روزالين:

ــ نعم، وأشكرك.

وتناولت الكأس، بينما كان الكسندر يتأملها ويدرسها ويراقب حركاتها. ولو كان قد نبس ببنت شفة عن صحتها لصرخت بأعلى صوتها. ولكنه لم يفعل، بل قال فى صوت



منخفض ومرعب:

ــ كيف حال أختك؟

كاد حينذاك يتوقف قلبها عن الخفقان. ولكنها استجمعت شجاعتها وهى تتساءل فى عجب من أمره بينها وبين نفسها. إلا أن شيئاً قد أعطاها دفعة من العناد. لماذا تناقش معه أسرارها العائلية بعد كل ما حدث بينهما؟ لقد انتهى كل شيء بينها وبينه ولم تعد تعبأ بقلبها منذ قررت التخلص من حبه نهائياً وعما قريب جداً سوف تغادر المكان إلى غير رجعة، أما أسرار أختها فيجب الحفاظ عليها بينها وبين أختها فقط. أرتشفت قهوتها بانتظام، ووضعت الفنجان بعناية على المنضدة، وصاحت:

ــ إنها بخير. وتحقق الشهرة والنجاح فى چيرسى، على ما أعتقد.

لاقت عيونه عيونها بكثافة مؤثرة، أضرمت بداخلها النيران، قال الكسندر:

ــ ألم تسمعى عنها فى الآونة الأخيرة؟

ــ كلا، ليس فى الآونة الأخيرة، ولكن منذ يومين أرسلت لى خطاباً بهذا المعنى.

وكان على وشك أن يقول شيئاً ما وأن يصرح بالمزيد، ولكن فى نفس تلك اللحظة دخل نصف المتظاهرين إلى الفندق مقتحمين خلوتهما فى بالمورال، فأصدر لهم ابتسامة خليقة بالاحترام والحب قائلاً:

ــ أعتقد أنه حان الوقت للانصراف والرحيل.

ولحسن حظ روزالين قطعت هذه الفرصة على الكسندر المزيد من المناقشة ولما عادوا إلى المنزل، اشتبكوا فى بعض المناقشات بشأن المشاريع المستقبلية التى يعدها السينور خوزيه



WWW.REWITY.COM
GEGE86

للتخطيط من أجل مستقبل حفيده، وبمجرد أن حانت الفرصة لروزالين، تركتهم صاعدة إلى الدور العلوى للاختلاء بنفسها وتدبر أمورها.

راحت روزالين تتفرس جمالها فى المرآة وتنظر إلى منظرها العام وهيئتها وهى مرتدية كامل الملابس الأنيقة التى تعتز بها، والتى تبرز مفاتن جسدها وتبرز قسماته وملامحه الأساسية التى تغرى الرجال وتخلب أبصارهم. وأخذت تصفف شعرها الحريرى المسترسل كالشلال على أكتافها الممتلئة بالحيوية وقدها الممشوق يصرخ فى أنوثة طاغية كما لو كانت تهتف بالرجل أن هيا تعالى كى تقطف من ذلك الجمال الطبيعى الخلاب ما استطعت أن تقطف وتستمتع.

وصل ويليام فى تمام الساعة الثامنة، فطاف بفكرها أنها لو تمنت لو كان الحب الذى فى قلبها كان معلقاً بوليام روبرتسون، حتى تستطيع أن تمحو الحب والارتباطات التى تكبل حياتها بالكسندر دالغليش. ولما خرجا سوياً ودخلا إلى السيارة، قال لها ويليام:

ـ ما أبدع جمالك يا فتاتى الرائعة.

ـ أشكرك يا ويليام.

ـ هل علمت، لقد رتبت الأمور على أن تكون السهرة والعشاء معاً فى هذه الأمسية الراقصة. كيف مضت المظاهرة؟ لكم كنت أتمنى المشاركة فيها!

ـ ناجحة للغاية، لقد شارك فيها العدد الوفير من الناس من كل صوب وناحية.

ـ رائع، وعمل عظيم! سوف نكسب الجولة، ولن يتم اغلاق المستشفى!



راحت روزالين تتملى فى ويليام، وقد علمت كم أصبح انساناً ظريفاً طيب المعشر حلو النكتة وعف اللسان، وتمنت بأن يحظى بحبها.

ولما وصلا إلى مكان السهرة، أرشدهما القوم إلى مقعدين لهما، ولما استقرا طلب ويليام بعض الشراب ذلك أن موعد العشاء لم يحل بعد، وأمامهما نصف الساعة كى يستطيعا الاستعداد للطعام، وبناء عليه قرر ويليام اللجوء إلى البار طلباً للشراب. قالت روزالين:

ـ يا ويليام، لو حدث أننى قد تطفلت على شيىء خاص بك ومن أمورك الشخصية، فأرجوك بحق الإله أن تخبرنى، حتى أتمكن من تفادى مضايقتك!

وضع ويليام يده على كتفه مؤكداً لها أن هذا ليس بصحيح، وقال:

ـ كلا، البتة، يا عزيزتى. وسوف أكون سعيداً حينما أخبرك بكل ما يعتمل فى صدرى من مشاعر وأحاسيس وإن كانت حارقة بعض الشيىء. لقد تلقيت مكالمة هذا الصباح لم أكن أتوقعها أبداً من إحدى الصديقات القدامى من زميلاتى بالجامعة، حينما جمعتنا أيام التدريبات العملية كى نصبح أطباء. والذى حدث أننى وهى وقعنا فى الحب بمجرد انتهاء الدراسة. وحدث أن انفصلنا عن بعضنا البعض، وسمعت فيما بعد انها ـ وكان اسمها ماريون ـ قد تزوجت رجلاً أكبر منها سناً، وحدث الطلاق، وحينذاك طلبتنى التماساً للمشورة والعون. ولكن تعرضت لحادثة السيارة التى أدت إلى بتر ساقى، وكان هذا نهاية للعلاقة.

ثم نظر ويليام إلى الساق الصناعية التى ركبت بدلاً من



WWW.DEWITY.COM
GEGE86

ساقه الطبيعية، وأعاد النظر إلى روزالين، قائلاً:

ـ حسناً، لقد اتصلت ماريون بيّ هاتفياً هذا الصباح تلتمس مقابلتي. وكانت خارج البلاد بعض الوقت، ولكن الآن هي متواجدة مع أبيها في «سانت أندروز». وعرضت عليّ مقابلتي ههنا وأيضاً مقابلة أي زميل قديم يذكرها ههنا. ولكن بطبيعة الحال، هي لن تأتي، وأتعشم ذلك، برغم كل شيء.

ـ هل لا زلت تحبها يا ويليام؟

ـ حديثي معك بشأن ذلك، أنني لا أنساها قط، ولم أنساها أبداً، ولم تنساني هي.

ـ أوه، كل شيء حتى الآن يبدو رائعاً. وأنا واثقة من أنها سوف تأتي... وسوف تشرب نخب ذلك واحتفالاً بمجيئها!

لم يبتسم ويليام، وقال:

ـ ولكن، أنت يا روزالين، يا عزيزتي، ألا تفكرين في أنني سوف أتركك في موقع حرج في هذه الأمسية فتصبحي وحيدة بدون ونيس ومسامر؟

ـ كلا وحق السماء! هناك الكثير من الناس ههنا الذين قدمتهم إليّ. وسوف أتصرف إلى أحد الحاضرين وأتجاذب معه أطراف الحديث، بمجرد أن تظهر هي وتتآلف معك في التسامر!

وبمجرد أن انتهوا من الطعام، وبينما كانت روزالين ترقص مع ويليام حوالي منتصف الليل، لمحت صورة الكسندر وبصحبته فتاة رائعة الجمال. وكانت صدمة هائلة لها لم تحتملها أعصابها. ولكنها تماسكت حتى تتمكن من التعرف على هذه الفتاة. كان قلبها يدق بشدة وسرعة، حتى أنها لم تستطع



الانصات إلى ما يقوله الكسندر. وعادا إلى المنضدة وأيديهما ممسكتين ببعضهما البعض، وفي نفس الوقت ابتسم الكسندر الذي كان بمفرده الآن وهو يشق طريقه صوبهما قائلاً:

ـ مرحباً.. يا له من مساء عامر وبهيج! وكلاكما تستمتعان به، آمل ذلك؟

لم تعلم روزالين أبداً ما الذي يدور بخلده حينما كان يتكلم. وكل ما كانت تعرفه هو أنها كانت تثرثر كما التلميذة الصغيرة لا تشيء إلا لأن الكسندر دانغليش الطبيب العظيم قد طلب من ويليام روبرتسون السماح له بالرقص معها. وفي نفس الوقت قدمت إلى ويليام فتاة رشيقة شقراء وشعرها ذات اللون الذهبي يلمع ويترنح كل صوب وناحية، وكان وجهها بيضاوي الشكل، أما عيناها فضاحكتان. ولما انصرفت روزالين تراقص الكسندر ومكثت بين ذراعيه، أيقنت أنها سوف تذوب بين ذراعيه مرة ثانية، وأخذت جاذبية جسده الوهاج تعبث بمشاعرها وتفتت من عافيتها، وأخذت الهواجس تلعب بها وتضربها ضرب عشواء لما تلامست أعضاء جسد الكسندر الطويل الهامة بجسدها.

كان ينظر إلى عينيها والضحك والاعجاب ينبعث منها، قال:

ـ يجب عليّ أن أقول انك الفتاة الأكثر جاذبية وروعة ههنا يا روزالين في هذه الليلة، ألا تعلمي ذلك؟

ـ حسناً، هذا أمر رائع يرفع من معنوياتي. يا الكسندر!

وضحكت، ولكن ضغط يده على أسفل ظهرها كاد أن يعصف بها ويقسمها إلى أجزاء صغيرة، أو يقطعها إرباً إرباً.

قال الكسندر:



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ـ هل يمانع رفيقك ويليام فى أن ننصرف لتناول أحد المشروبات ؟!

ـ كلا ، انه غارق فى السحر والعشق مع الفتاة التى يحبها .

قالت روزالين جملتها السابقة وهى شبه حالة فى عالم عجيب مسحور بتأثير جاذبية الكسندر الوهاجة .

ـ الشيطان المحظوظ ! كيف يستطيع تدبير كل هؤلاء النساء ؟

أفاقت تعليقات الكسندر روزالين من غيبوبتها ، وحاولت التحرك والبعد عن قبضته قليلاً ، ولكنها لم تستطع قالت :

ـ لقد جانبك الصواب ، إنها ماريون التى يحبها ويليام . لقد أخبرنى بكل شيء منذ قليل عنها . ولقد عادت مرة ثانية إلى حياته ، وهذا أمر أثارنى أيما الاثارة . فيا لها من نهاية سعيدة .

ـ لم أحسب أنك بهذه القدرة والقدرة الرومانسية يا روزالين .

ـ نقد قلت لك من قبل إننى لست من النوع اللاتى يقدمن قلوبهن بلا ثمن .

ـ ابتسمت له ابتسامة تشبه ابتسامة « الموناليزا » وأريد أن أعرف ما الذى يكمن وراء ذلك من مشاعر !

ـ هذه الليلة ؟ للخمر البيضاء فقط !

وكانت ضحكتها تشق قلب الكسندر ، أما عيناها الجميلتان فقد كانتا خضراوين تلمعان كالذهب ، أما شعرها الوهاج فقد كان فتنة تخلب الأبصار . ورقصا معاً . وفى غمرة المرح والرقص والضحكات والنكات والسعادة الطاغية التى أطلت على المكان ، لم تعد تعرف روزالين قيمة للوقت سوى أنها فى صحبة الكسندر .

وبعد انتهاء الرقص ، عانق الكسندر روزالين بشدة ، كما لو



كانا ليس بينهما من التخاطب سوى بالتلامس . فشعرت بأن كل قساوة العالم الخارجى ليست تساوى شيئاً بجانب النشوة وطغيان العاطفة التى سيطرت عليها فى هذه الليلة . وكانت شفتاء الحالمتان تداعبان أذنيها ، ولما تلامست تململت قليلاً ، وجعلت شفتاه تنزلقان بسلاسة فى غير مجهود على شفتاها تحت الأضواء الخافتة ، وكانت عيناها منغلقتين ، والرقص لا يزال سارياً .

بلغت الساعة الثانية صباحاً حينما غادرا المكان . وفى السيارة ، كانت روزالين مسرورة لأقصى الحدود لأن تكون بجوار الكسندر وصحبته .

وأسعدها رؤية وجه الكسندر فى ضوء كشاف السيارة العابرة التى أرسلت بآشعتها على ملامحه الحادة ، وأرادت أن تصرخ حينما تذكرت لقاءهما معاً بالطريقة التى سلكاها . لقد كان من الأفضل ألا تقبل الوظيفة من الأساس . حيث إنها سرعان ما سوف تخرج من حياته إلى الأبد لقد استمتع بمغازلتها فى ذلك المساء ، وكانت متأكدة من هذه الحقيقة . وهذا هو السبب فى أنه زهد فيها ونبذها ، ولا ريب فى ذلك . ذلك أن الناس فى أعمالهم ومهنهم يحتاجون إلى الترويح من حين لآخر للترفيه عن وجع القلب الذى يعانون منه يومياً ، وفى كل آن وكل حين . وبعيداً عن جراحاتهم الدامية .

وفى المنزل « فالكون هول » نظم الكسندر مشروباً لهما معاً فى المكتبة . جثمت روزالين على أحد ذراعى الكرسى وهى تحدق فى الجمرات المتهادية للمدفأة والحزن يلف منها كل حدب وصوب فى عواطفها . قال :

ـ أظن أن ثمة شيء جاد بينك وبين ويليام .



WWW.REWITY.COM
GEGE86

ابتسمت ابتسامة ساخرة، وصاحت:

ــ نحن جميعاً نرتكب الأخطاء!

ــ أنت التى ارتكبت الخطأ أما أنا؟

ــ أنت بافتراضاتك وظنونك الخاطئة.

ــ حتى ولو رأيتكما معاً وأنت معه فى شقته، وتأكلين معه فى المطاعم، والذهاب إلى الحفلات الموسيقية، وحتى فى حضورك عملية اجهاض معه.. هل بعد كل ذلك لا أزال أنا الانسان الذى جانبه الصواب؟

ــ ليس على هذا النحو. لقد كان ويليام صديقاً وفياً لى، وهذا كل ما هنالك. ولماذا تسألنى كل هذه التساؤلات. حتى صاحب العمل ليس له الحق فى أن يلم بكل ما يفعله الموظف عنده من أفعال وأشياء.

رأت روزالين على وجهه تعبيراً للانقباض والتجهم قال:

ــ هذا صحيح، ولكن لسوء الحظ، إن الألفة ربما تنمو فتربط بينهما برباط وثيق وأعمق قوامه الاهتمام، والتقدير، والصداقة. ولذلك انتابتنى الهواجس والقلق عليك. فأنت ممرضة ممتازة ومولدة رائعة. وأحسست بأننى مسئول عنك ما دمتى تعيشين فى بيتى. وبطبيعة الحال، لا ينشأ هذا دائماً فى مثل هذه الظروف.. ولكن....

ثم استطرد قائلاً:

ــ وكما تعلمين، يحدث كثيراً أن ينجذب شخصان إلى بعضهما البعض، حتى ولو فى المليون.

ووضع يديه على كتفيها، وكانت عيناه تنظران فى عينيها، وهما ممتلئتين بالحنو والعطف، قال مؤكداً لها:

ــ وهذا هو تمام ما حدث لى بالضبط. صاحت روزالين:



ــ وأنا أيضاً، بنفس المعنى، يا الكسندر. وشيء رائع الحصول على الأصدقاء...

سقطت يداه من على جسدها وطبع قبلة على جبهتها. قائلاً:

ــ لقد علمت الآن أن كل ما عانيت منه، كان السبب فيه هو صديق وعشيق أختك سيرينا الذى امتدت علاقتها بها حتى حلت منه جنيناً. وكان أمامك وقت عسير لتدبير اجهاض أختك، ومع ذلك لم تهملى كارملينا. مثل هذا الكرم ليس جزاؤه أبداً هو الطريقة التى عاملتك بها يا روزالين. فهل سامحتنى؟

أومأت وهى بعد عاجزة عن النظر فى وجهه، وتتفكر فى الليلة التى لن تنساها أبداً، بالرغم من أنه قد نساها هو على ما يبدو. قالت:

ــ نحن الآن صديقان يا الكسندر، وإنى لأقدر ذلك لك. وهى ليست مسألة سامحتك. إنما هى مسألة الفهم والتفاهم الأعمق.

وتحادثا برهة من الوقت، حتى شعرت أخيراً روزالين أنها قد خلصت رأس الكسندر من كل الأخطاء التى علقت به. وعلمت أنها لو واتتها الفرصة لاطلاع الكسندر صراحة على ما حدث بالفعل لروزالين، فإن ذلك سيكون بالنهار وضوء الصباح، وليس ليلاً. وليس حينما تكون سكرى وثملة بين ذراعيه من جراء الخمر والموسيقى، حالة هائمة بين أحضانه، وملتصقة به لاغرائه فى كل مرة تقع يناه الزرقاوان على منحنيات صدرها وثدييها...

وبعد أن اغترفا من كؤوس الحب والغرام، ابتسم الآن



WWW.REWITY.COM
GEGE86

الكسندر، وذهبت عنه نظرات القلق. قال:

ـ طاب مساؤك الآن يا روزالين، لقد استمتعت بهذه السهرة للغاية، خاصة وأنك قد سامحتنى... وأسعدتنى هذه الساعة للغاية..

وأخذ يدها ورفعها إلى شفتيه ليقبلها كما لو كان يريد أن يوقع ويختم معاهدة وعقداً يربط بينهما برباط وثيق.

ـ طاب مساؤك يا الكسندر. لقد كانت سهرتنا خالدة وهائلة..

وولت مسرعة إلى غرفتها وهى تبتسم ابتسامة رضاء وهناء وسرور، وذلفت إلى غرفتها لتخلد إلى الراحة والنوم.

• • •

## الفصل الحادى عشر

## النهاية السعيدة

مضى أسبوع بدون أن ترى خلاله روزالين الكسندر أو تتصل به بأى نوع من الاتصال. حيث أخذته عجلة العمل على ما يبدو وحجزته فى ادينبرغ، ومن هناك كان يتنقل من حين لآخر وبين الفينة والأخرى بين ادينبرغ وجلاسكو، وهو الأمر الذى أمكنه من المقام فى النادى حينما كان ذلك ضرورياً.

وفى ظهيرة اليوم التالى، كانت روزالين مع كارمليتا فى غرفة الجلوس مع الطفل فى «فالكون هول» حينما دخل عليهم السينور خوزيه مينديوزا يزف إليهم الأخبار السارة والأنباء السعيدة، صاح:

ـ ها أنتم هؤلاء كامنون ههنا.

ودخل كالعاصفة متوجهاً حيث يقبع الرضيع فاتحاً عينيه على اتساعهما، وهو يلعب ويطيح بيديه ذات اليمين وذات اليسار، فمال على الصغير «آنجوس» كى يقبل جبهته وهو يقول:



WWW.REWITY.COM
GEGE86

— لدى شيىء سار وسرى سوف أخبركم به فرداً فرداً. ولقد جئت من توى من التليفون حيث خاطبت مستشارى المحامين الذين أتعامل معهم فى بيونس آيرس، وأنت يا روزالين لا داعى لأن تظلى حبيسة للانزعاج والقلق بشأن غلق المستشفى.

وانتظر كى يعرف وقع وتأثير كلماته عليهم. وضعت ابنته أيديها حول عنقه، أما روزالين فقد قفزت من المقعد الطويل وهى فى حالة إثارة قصوى.. صاحت:

— كيف يا سينور خوزيه؟ وقالت روزالين ضاحكة:

— بابا، كيف تسنى لك انقاذ المستشفى من الاغلاق والتوقف؟

— سوف يتم تأسيس مؤسسة ميندوزا لإدارة مستشفى «كوتيدج موفات» ولا داعى للمزيد من القلق وتنظيم المظاهرات المطالبة بالمال للمستشفى! حيث سأقدم مقدار المال اللازم كهدية منى لإدارة المستشفى إكراماً لهم على رعايتهم لابنتى وحفيدى، وكهدية لبلدهم الجديد!

تركت كلماته السامعين فى حالة من العجز عن الكلام. وسعدوا أيما سعادة بهذا العرض، وفرح أيضاً الكسندر والكولونيل اللذان سرعان ما انضما إليهم فى نشوتهم.

ولما تناهت إلى أسماع هيئة العاملين بالمستشفى خبر انقاذ المستشفى من الافلاس، مزحوا، وضحكوا بالسعادة، وراحوا يبلغون بعضهم البعض بالتهنئة، ذلك أن مستقبلهم قد صار أكثر أمناً الآن بضمان إستمرار المستشفى فى العمل، ذلك أن وظائفهم كانت مهددة بالضياع، وكان يزعجهم ضرورة البحث من جديد عن فرصة عمل، فى وقت صارت هذه الفرص



ضئيلة، بل كادت تختفى وسط وطأة البطالة والأزمة.

وكذلك الأطباء كانوا سعداء، واقترحوا تنظيم حفل يتم فيه دعوة أعزائهم والمهتمين بالعمل الطبى لكى يسجلوا هذه المناسبة السعيدة، وفعلاً حل موعد الحفل، وحضر المدعوون وصاروا فى غمرة السعادة يذكرون ويشيدون برجل الأعمال السينور خوزيه ميندوزا، وأعادت الحياة بريقها ولمعانها فى عيون القوم العاملين بالمستشفى، وعادت إليهم بهجة الحياة، كما أن السعادة المفقودة صارت ترفرف بجناحيها على حفلهم الأسطورى.

وفى نفس الوقت، أصبحت كارمليتا أهنأ بالاً، وأمرح عن ذى قبل، ذلك أنها الآن صارت تتلقى الخطابات بانتظام من رودريك كما أنها صارت تزوره مع العائلة بصفة دورية، وتطلع على أخباره وحاله، وغاب عنها قتامة المستقبل وتجهم الحياة، والشقاء الذى رفلت فيه عدة شهور كئيبة رحلت الآن إلى غير رجعة وسط الأنباء السارة والبشرى التى تزف إليها نعيم الحياة وراحة البال من وقت لآخر. لاسيما المشروعات التى وعد بها أبوها من أجل تأمين مستقبل حفيده «آنجوس رودريك دالغليش».

أما الكسندر فقد استغرقه العمل على مايبدو، وصارت العيون لا تراه إلا كل حين، وفترة، يختفى بينها فى ظروف كان يبررها دائماً بأنها وطأة العمل وحدة المشاغل، والمسئوليات الملقاة على عاتقه، بالاضافة إلى رغبته فى انجاز الأعمال المعطلة التى كان يرجىء انقاذها من حين لآخر، وقت أن كان مشغولاً بمشكلات أخيه رودريك وزوجته كارمليتا. وعادت السعادة والبهجة تطل من جديد على ذلك البيت العريق، وتغدق عليه بما حرم منه فترة طالت. وأشرقت الشمس من



WWW.REWITY.COM
GEGE86

جديد بالسرور على أفراد الأسرة جميعاً.

وكانت روزالين تشعر بمشاعر غريبة كلما مضت الساعات ولم يبق أمامها للرحيل ومغادرة العائلة سوى يوم واحد، فأخذت تعد حقائبها وترتب فيها متاعها، كما كتبت رسالة إلى أمها وشقيقتها سيرينا، واتصلت بهما هاتفياً كي تخبرهما بأنها سوف تصل إليهما عما قريب وسوف تزور (چيرسي) كلما أمكنها ذلك، في فترة لا تتجاوز المسافة والمواصلات وما تستغرقه ثمّ وقت.

نظمت عائلة دالغليش حفلاً لوداع روزالين تم فيه توجيه الدعوة إلى كل أفراد المستشفى الذين لهم علاقة بالكسندر وروزالين، وتم دعوة بنت مدام هاريس ماندى، وزوجها «فيليب» بالاضافة إلى مسز لورانس، وهيلارى، والبروفيسور آدامز، ومستر ثورن، وكان متواجداً أصلاً الكولونيل، والسينور خوزيه، وكارمليتا، بالاضافة إلى المعارف والأحباب من المدعوين.

كانت روزالين في ذلك الوقت حزينة ومعنوياتها متردية، حينما غادرت مستشفى «كوتيج» لآخر مرة في حياتها، وهي تحاول عبثاً أن تتصنع بعض الشجاعة كي تخفي ضعفها وتأثرها، وتكبت الدموع حتى لا ينكشف اهتزازها وآلامها أمام القوم. ولما عادت وأخذت حماماً واستراحت قليلاً وغيرت من ملابسها، ألفت الكسندر في المكتبة يقول لها باعجاب قبل أن يصل المدعوون:

ـ هل أخبرك أبي بأنني سوف أسافر إلى أمريكا بعد قضاء أعباء رأس السنة «الكريسماس»؟

ـ كلا، هل هي أجازة سوف تمضيها هناك؟

ـ جزئياً. ولكنني لم أرتب شيئاً بعد. ولا أعلم ما الذي



سوف يتم بعد!

وبمرور الوقت امتلأ البيت بالمازيم وكان بينهم ويليام روبرتسون ومحبوبته ماريون. وبدءت مراسم الحفل تتخذ شكلاً جيلاً عجباً إلى النفس. وقدم أفراد عائلة دانغليش لروزالين كماً هائلاً من الهدايا وأعدوا ألواناً شهية من الطعام، والشراب، وتآلف القوم حولها معربين لها عن تقديرهم وحبهم، الأمر الذي أثر في عواطف روزالين وحرك قلبها فألفت نفسها تذرف الدموع من شدة سعادتها وفرط نشوتها بما أحاطوها به من حب وود واحترام، ولم تستطع مقاومة الدموع وهي تعرب لهم فرداً فرداً عن شكرها وعرفانها بالجميل لما توقوا به عنقها من صنوف المحبو والوقار. واستمرت فقرات الحفل حتى الساعات المبكرة من الصباح.

ولما انتهى الحفل، خلد أفراد العائلة إلى الراحة. وأثناء مشى روزالين نحو غرفتها بالدور العلوي، ألفت الكسندر واقفاً ينتظرها، فأخذ يدها يطبع عليها قبلة أسعدتها، قائلاً:

ـ ألا طاب مساؤك يا روزالين. فلتنعمي بنوم مرفه وهانيء، وأشكرك على كل ما قدمتي إليّ من أشياء وعرفان وجميل.

وابتسمت ابتسامة رقيقة له حينما أعربت عيناه لها عن مشاعر لا تعرف لها وصفاً، ولكنها تدل دلالة قاطعة على أنه يهيم بها ويحتاج إلى قربها منه، ولكنها حاولت الانصراف إلى غرفتها قبل أن تفيض عيونها بالدموع وتضعف وتفقد سيطرتها على عواطفها.

ولما خلت لنفسها علمت أنه برغم كافة الأيمان المغلظة والقسم على ألا تفشي سرها لألكسندر، إلا انها لم ترى مانعاً



WWW.REWITY.COM
GEGE86

من أن تخبر الكسندر الآن بكل شيء عن أختها سيرينا بما فى ذلك عملية الاجهاض وظروفها ؟ فهل هذا سوف يغير من الأمور شيئاً ؟ كلا إنها سوف تغادر «فالكون هول» وعائلة دالغليش، ومستشفى كوتيدج الثامنة بالصباح إلى غير رجعة.. إلى عالم خاص بها ليس فيه شيء من معالم اليوم الحاضر.

أما حبها وعشقها لألكسندر فقد كان المشكلة المتماثلة التى تؤرقها وتحطم قلبها، وكان فراق ذلك الحبيب أشق على نفسها، وأشد مضاضة فى وقعه على وجدانها الملتهب بالاخلاص له والهيام فيه، فلم تنس روزالين كيف أنه الرجل الذى تعبد فى محراب جمالها وهام فى حبها حتى الذوبان، وأنه الرجل الذى ضعف أمامها وأعرب لها عن كل ما يجيش فى صدره من حب لها، فضلاً عن أنه التحم معها فى علاقة الحب الحميمة.

وعلى فراشها، دفنت روزالين وجهها فى الوسادة وهى تجاهد عبثاً اخماد وكبت دموعها حتى لا تتساقط، إلا أنها أخيراً استسلمت لعاطفة جيشان الصدر، وبكت فى وسادتها شقاءها وبؤسها مما تلاقى من حب ربما كان مصيره الهلاك والزوال. ذلك أن المقادير قد قضت بذلك، ولا رجعة فى حكم الظروف.

وبالصباح، اغتسلت وارتدت ملابسها، عرجت على غرفة كارمليتا كى تتفقد الرضيع وتطبع على جبينه قبلة الوداع الأخيرة، ولما حاولت الانصراف عنه، شعرت بغصة فى حلقها، ولم تستطع دفعاً لآلام فراق «آنجوس رودريك دالغليش» المولود الذى كان سبباً فى تعرفها على الكسندر، ثم انتزعت نفسها ومضت عنه.

وبعد تناول طعام الافطار مع العائلة، الذى هو الأخير،



شحنت حقائبها فى سيارتها وودعتهم الوداع الأخير، وشرعت فى الانطلاق إلى رحلتها الطويلة التى تنتظرها، وحركت السيارة، ومضت...

قادت روزالين سيارتها فى بطء وعلى تمهل، وقد انشغل عقلها بكافة ألوان الأفكار، وهى تحاول أن يصفو ذهنها ولكن لا تستطيع، وعلمت أنها وإن كانت قد فقدت الكسندر، والعائلة التى عاشت معها حيناً من الزمن، إلا أنها الآن تمتلك الدنيا بأسرها وبحذافيرها، فهى الآن خالية من أية التزامات أو علاقات.. إنها حرة، تنطلق فى الطبيعة والبرية كيفما تشاء.

وبعد قطع عدة أميال، لاحظت أن سيارة تتبعها وسط الضباب، وصارت تقترب رويداً رويداً، حتى اتضحت معالمها وصارت قادرة على أن تتبين ماهيتها.. إنها السيارة الـ«بى إم دبليو» ملك الكسندر دالغليش الطبيب.. واقترب من نافذتها، وقال:

ـ توقفى يا روزالين، أريد التحدث إليك ؟

ـ هل حدث شيء بالمنزل، ماذا دهاك ؟

ـ لقد انشق صدرى واكتئبت حينما لم أجدك بالبيت، وصار البيت كئيباً، أنا لا أستطيع فراقك.

وهبط من سيارته ودخل إلى سيارتها، وربت بيده على كتفيها قائلاً:

ـ أنا أحبك يا روزالين بينيت. هل تعتقدين أنه من الأمانة أن أتركك ترحلين بدون أن أقول لك ذلك، وأعرب لك عن حقيقة مشاعرى وما يخفيه قلبى تجاهك ؟

ـ يا الكسندر، هل أنت مصاب بمرض المشى أم ماذا دهاك، أراك غير طبيعى ؟



WWW.REWITY.COM
GEGE86

— هيا بنا إلى سيارتى فهى أكثر دفئاً من هذه السيارة.

ولما دخلا إلى السيارة قال لها:

— اسمعى يا روزالين، أنا لا أقول شيئاً لا أعنيه. أنا أعشقك، ولا أعرف كيف أعيش بدونك تحت نفس السقف الذى يعلم أسرار حبنا على مدار الأسابيع الطويلة.. أنا... حسناً، كان يتعين على مراعاة للبروتوكول والتقاليد ألا أظهر حبى لك أمام العائلة، كما أننى كنت أتصنع العداء ضدك بلا مبرر حتى اتفادى الظنون والشبهة!

فتذكرت روزالين سوء معاملته لها، والمشقات التى سببها لها فضلاً عن خيلائه وزهوه وتكبره عليها، بالاضافة إلى اتهامها بأنها هى التى أجهضت، وعلاقتها بوليام، فغضبت وتوثبت للعراك معه. قال:

— أعلم أنك تعرضتى أخيراً لمشكلات خاصة بك. ولكننى واثق من أنك قد تغلبتى على كل ذلك الآن. ولكننى على أية حال، لا زلت أحبك بأكثر مما أستطيع القول، برغم ما حدث فى عملية الاجهاض وبرغم كل شيء حيث إننى....

فلما سمعته يذكر عملية الاجهاض، اشتعلت نيران الغضب والحنق فى صدرها، فانفجرت تقول له موئبة:

— أوه، يا لك من انسان ظريف يا الكسندر دانغليش. ان قلبك العظيم الكبير يغدق على بالعفو!

أقدر لك ذلك تقديراً هائلاً. كيف يتسنى لك أن تتناول أسرارى بالمناقشة، فى الوقت الذى لا تعلم فيه شيئاً عن خبايا أمورى وحياتى الخاصة! تماماً كما أنك لا تعلم شيئاً عن الحب ومعناه. حتى أننى أعتقد أنك قد ابتذلت معنى كلمة الحب. أنت لا تجرؤ على الدفاع عن حبى أمام الناس، أليس كذلك؟



وكل ما هنالك هو أن الظهور بمظهر لائق وحسن أمام الناس والعائلة، وهكذا تعتقد فى نفسك أنك الراعى الأعظم؟ يا الهى، كم أنت مغرور وتياه! أنك الحق فى أن تخفى فضائح أخيك عن عيون الناس وعن المجتمع بأسره، ثم تنقب عن أسرارى وعملية الاجهاض لكى تطلع على خباياى لنفسك. كما تعتقد أننى نافعة لك، ولكنك لا تستطيع مواجهة كلام وانتقادات العائلة فى «فالكون هول»! أشكرك يا الهى أنك أطلعتنى على حقيقته فى الوقت المناسب! لقد كنت أصدقك يا الكسندر، وأحببتك، يا لشقائى بك... لقد أخطأت التقدير... والآن دعنى أرحل، فلست مستعدة لتبديد المزيد من الوقت، أمامى رحلة طويلة ينبغى القيام بها...

لم تستطع روزالين فتح الباب، لقد أغرورقت عيونها بالدموع، وحاولت جاهدة انتزاع مقبض باب السيارة، وكانت مدركة لعيون الكسندر الجارفة وهى تنظر إليها، كما لو كانت كلماتها قد أعاقت حبل أفكاره. ولكنها لم تعبأ بذلك. وعلمت أنها قد أوصلته إلى حد الثورة والغضب، حينما قفزت من السيارة وهرعت إلى سيارتها، وهى تشج باكية تشكى سوء حالها إلى قلبها وحيدة بالسيارة... وليس من أجل الكسندر، ولا العائلة، ولا المستشفى، ولكن كانت تبكى أحلامها الضائعة وثقتها البائدة فى رجل يخشى مواجهة الناس وحمايتها أمامهم، وأسرعت بتشغيل السيارة إلا أن محرك السيارة أبى أن يتحرك أو يشتغل، وحاولت مراراً وتكراراً، وفى كل مرة كانت محاولاتها تبوء بالفشل. فاقترب منها قائلاً:

— سوف تتلفين المحرك، اتركيه برهة من الوقت. هل سوف تتركينى أتكلم إليك هكذا بلا جدوى... أم سوف



WWW.DEWEEY.COM
GEGE86

يتعين علىّ أن استخدم القوة معك ؟

تجاهلته ، وأشاحت بوجهها عنه ، ففتح الباب وقبل أن تعرف كان جالساً بجوارها ، وقد جرفها بين ذراعيه قالت صارخة :

ـ اتركنى وشأنى .. أتركنى وشأنى حالاً .

ـ أوه ، كلا ، لن أتركك أيتها المرأة المشاكسة الصغيرة . سوف تستمعين إلىّ !

ثم سرعان ما ألقى بها مثل شوال البطاطس على ظهره فى غمضة عين ، وبينما هى تصرخ وتطرق على ظهره وكتفيه بقبضات يدها ، عاد بها عبر الطريق إلى سيارته الخاصة به ، وألقى بها فى مقعد الركاب الأمامى .

وأغلق الباب ودخل بجانبها ، وفى نفس الوقت تماماً ظهرت على الطريق السريع الفارغ الخالى من السيارات سيارة بوليس تعقبتها وسارت صوبها . وهدأت السرعة وتوقفت بجانبها ، وخرج أحد ركابها وهو يعبر الطريق ووضع كوعيه مائلاً على النافذة المفتوحة ، وكانت عيونه ثاقبة وهى تنظر إلى الكسندر فى توثب : قال :

ـ هل أنت بخير أيتها الآنسة ؟

ـ أومأت روزالين برأسها ، وكانت رافضة للتحدث بسبب فورة الغضب .

ـ وأنت يا سيدى ، هل بمقدورى أن أرى رخصة قيادتك ، من فضلك ؟

ـ بكل تأكيد .. وناوله إياها .

ـ هذا عظيم .

وناوله إياها الشرطى ، وهو يكاد يشعر بالاحباط . وقال :



ـ هل هذه سيارة تلك الشابة ؟

ـ نعم .. وأعطته رخصة قيادتها قبل أن يطلبها هو .. قال الكسندر :

ـ هل كل شيىء إذن على مايرام أيها الضابط ؟

ـ لماذا إذن كل هذه الجلبة والضجيج والعنف ؟

قال الكسندر :

ـ أريد أن أتزوجها ولكنها تساومنى .

ظهرت ابتسامة عريضة على وجه الشرطى ، بينما يطوى مذكرته وقال :

ـ مفهوم ، يا سيدى . ان بالمدينة القريبة « جرينا كرين » كنيسة لو كنت منك لتوجهت لها .

وضحك الشرطى وهو يمسك بغطاء رأسه ، ومضى يشق طريقه وهو لايزال يضحك ، ودخل إلى السيارة البوليسية ومضت بعيداً . حينذاك قالت روزالين توبخه ساخرة :

ـ كيف جرؤت على ذلك ! أين شجاعتك ، تمزح فى الأمور الجادة لتفادى مأزقك على حساب امرأة ! أعتقد أنك الآن سعيد بما فعلت وتظن فى نفسك المهارة والحذق ؟!

حرك الكسندر السيارة ، وكان قد تأكد من اغلاق سيارتها قبلاً وقال :

ـ سوف أعود لالتقاطها بعد ذلك . صرخت روزالين :

ـ ليس لك الحق فى التدخل فى خططى بالذهاب إلى أهلى والعودة إلى بلادى . أنت لم تعد صاحب العمل الذى يأمر فيطاع . هل علمت ذلك ؟

وأضافت :

ـ باستطاعتى باستطاعتى الآن أن أقول لك كل ما أستطيع



WWW.REWAYY.COM
GEGE86

دون تحسب أو خوف من أية شيىء، فأنا حرة!

ـ رائع جداً، هلم أرينى ماذا تقولين. دعينا نسمع ذلك إذن!

ـ أنت أيها المغرور، المتعالى، الذى لا يهتم سوى بنفسه، يا أيها المضيع لوقت الناس، دعنى أخرج من هذه السيارة قبل أن.... قبل أن...

قال الكسندر:

ـ قبل ماذا؟

ـ قبل أن أصرخ بأعلى صوتى وأجمع عليك البوليس وسيارة الشرطة التى انصرفت بسرعة الصوت والضوء!

ولكنها عبثت تحاول بلا جدوى، فصمتت مغلوبة على أمرها. ومضت السيارة تعبر الطرق حتى أوقفها الكسندر عند فندق «بيتول» حيث قضيا هناك أسعد ذكرياتهما... وأعذبها حتى اليوم. ولما خرجا قال لها:

ـ أستطيع الآن بكل سهولة أن ألقيك على كتفى مثل أول مرة، إذا كان ذلك يروقك وتفضليه! ومهما فعلنا ههنا من شجار ومهما ارتكبتى من حماقات فنحن ههنا غريبان ولا يعرفنا الناس فى «فالكون هول». وسوف نتناول طعام الأفطار. ولما دخلا أمر الكسندر باحضار فنجانين من القهوة. وبعد أن جاءت القهوة رفضتها روزالين قائلة:

ـ سأرحل...

ـ سوف تمكثين وتشربى القهوة، وبعد ذلك سوف نتناول طعام الأفطار حتى نفرغ من التحدث فى كل الأمور التى تهمنا قاطبة..

وبدون أن تشعر صبت روزالين القهوة لها كليهما بدون أن



تشعر، وقال الكسندر لها:

ـ لماذا لا تصدقين أننى أحبك؟ ما وجه الغرابة فى ذلك؟ ألا يحدثك قلبك بأننى صادق؟

ـ ربما لو علمت ما أقوله لك، فهل سوف تبقى تحبنى أيضاً؟

ـ روزالين، بحق الإله، ما الذى تريدين قوله؟

ـ أنت مخطىء فى اعتقادك بشأن عملية الاجهاض. لست أنا التى أجهضت، بل أختى سيرينا. وكنت أنت مشغولاً حينما احتجنا إليك، ولم يكن أمامنا سوى ويليام الذى ساعدنا بكل اخلاص، ونظم كل شيىء. ولم يكن يشغلنى حينذاك سوى مساعدة أختى واخراجها من محنتها. وكان أسوأ شيىء هو أن أب الجنين الذى كان فى بطن سيرينا، كان هو «حوف»، صديقى القديم. وفى خضم ذلك نسيت كل شيىء يتعلق بمقابلتى فى مستشفى «ويلز».

عند ذلك أسند صاح الكسندر:

ـ ولماذا بحق الشيطان، لم يخبرنى ويليام بذلك؟

ـ هذا يتعلق بحفاظه على أسرار المريضة.

ـ يا الهى، وأنت يا روزالين كيف ظننت فىّ من ظنون؟

كانت عيون الكسندر مترعة بالندم والأسف وتأنيب الضمير، ورأت ذلك روزالين حيث كان واضحاً كل شيىء، وخصوصاً الدمار البادى على وجدانه ومشاعره وحينذاك قالت لروزالين:

ـ لقد أحببتك قبلاً يا الكسندر، وخصوصاً بعد الليلة التى قضيناها معاً. حيث كادت كلماتك تشق قلبى، ولكن كان لزاماً علىّ الحفاظ على كرامتى والاستمرار حتى نهاية العقد.

ـ وهل لا زلتى تحبيننى بعد الطريقة السيئة المهينة التى



WWW.REWITY.COM
GEGE86

عاملتك بها؟ ومع ذلك كنت تسهرى على راحتى وتهتمى بى ولا تكفين عن السؤال عنى، بكل الكرم والعاطفة الدافئة التى تكمن فى قلبك الطيب، يا روزالين، ما الذى فعلته كى أستحق كل ذلك؟ هل أرجو أن تغفرى لى وتعفو عنى، وتسامحى جنونى وطيشى الأحمق الأعمى؟ هل تصدقين أن كل ما جرى لرودريك قد أثر على تفكيرى وصوابى فلم أعد أحتمل.... حتى أننى لا أصدق أننى فعلت بك كل ذلك؟!

ــ أنا أتفهم ذلك، بسبب القلق والتوتر الذى سيطر عليك، وكلنا كنا نعانى من التوتر.

ــ لقد قلتى انك تحبيننى، فهل لا تزالين تحبيننى برغم كل شيء؟

ــ أجل أحبك أكثر فى هذه اللحظة كما لم أعتقد أبداً أننى أعشقك على هذا النحو.

وتعانقا، وتبادلا القبلات. ونهض الكسندر وجذبها إليه بقوة وضغط حتى أنها شعرت بدقات قلبه. صائحاً:

ــ حبيبتى روزالين، يا سويداء الفؤاد، لقد كانت الأسابيع الطويلة الماضية تمثل قمة العذاب والآلام لى، وكنت أقاوم شغفى بك واشتياقى إليك.. إذ كنت أخشى أن تكونى لا تزالين على حبك لـ«حوف» أو أنك قد وقعتى فى غرام ويليام، والذى تسبب فى تفاقم ذلك مسألة الاجهاض؟ لقد كدت أجن.

وتعانقا طويلاً واستغرقتهم القبلات ونعيم الحب فصارا فى فردوس الغرام حتى أفاقا على صوت المكنسة الكهربائية، فضحك الكسندر من كل قلبه سعيداً وشاركته روزالين الضحكات العالية الصاخبة. حتى صاح الكسندر بعد حين:



ــ إذن لقد حان موعد الافطار، فهيا بنا نتناول الطعام. إنه افطار الزفاف!

ثم أضاف:

ــ سوف تقولين نعم بالموافقة يا حبيبتى، أليس كذلك؟ تذكرى دائماً قول الشرطى بأن أتزوجك عنوة وعنفاً!

ــ سوف أقول نعم يا الكسندر، فلست أعرف عواقب ذلك؟!

ــ حسناً، يا سويداء الفؤاد ويا حبة القلب. واريدك الآن التوجه معى إلى الكنيسة، وبعدها سوف نقضى شهر العسل فى ضوء الشمس!

حينئذ قالت روزالين لألكسندر:

ــ كيف كان شعورك وأنا أغادر «فالكون هول» هذا الصباح؟

ــ كنت قد رتبت أمورى على الانطلاق وراءك وتعقبك والظفر بك، هل الآن اقتنعت بأننى حبيبك الوحيد؟! لقد عرفت بذلك العائلة كلها، وكانوا يشيرون لى من النوافذ وأنا أعدو وراءك بالسيارة.. لقد كنت قد أخبرتهم وأطلعتهم على كل شيء أصلاً!

وابتسم المحبوب ثم ضحك الكسندر ضحكات عالية النبرة وبصوت مرتفع، وسرعان ما انضمت روزالين اليه.. يضحكان فى سرور وسعادة غامرة...

* * *



WWW.REWITY.COM
GEGE86